«الهدف» تحاور المفكر العربي نصر حامد ابو زيد

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف
AL HADAF

الذكرى السابعة والعشرون لاستشهاد غسان كنفاني



الدعوة لقمة شاملة والموقف العربي المطلوب

العدد ١٢٩٤/ ٤ تموز ١٩٩٩ السنة الثامنة والعشرون - الثمن ٢٠ ل.س / ١٠٠٠ ل.ل
AL-HADAF - No. 1294 - 4/7/1999

غسان كنفاني: في البدء كان الرسم!

علي الكردي



في كتاب «انطباعات شخصية عن حياة غسان كنفاني وباسل الكبيسي» الصادر عن مؤسسة الأبحاث العربية في بيروت يقول فضل النقيب: في «رابطة الأدب والحياة».. قد سمعنا عن غسان كنفاني، وكنا نريد أن نتعرف إليه، لأننا احببنا لوحاته الملوّنة التي كانت تعلّق على جدران مدارس الفلسطينيين في دمشق، ولافتاته التي كان يحملها الطلبة في مظاهرات أيام وعد بلفور والتقسيم و١٥ أيار السنوية.

وعندما التقينا به في دار مجلة «الرأي» بادرته فوراً بالسؤال عن رسوماته، ولوحاته الملوّنة، فتجنّب الإجابة المباشرة على سؤالي الذي اعتقدت انه كان مهماً، واكتفى بالقول: إنه يهتم بالكتابة اكثر من الرسم. ولما سألته لماذا يفعل ذلك؟ قال: لأنه يستطيع أن يعبر عما يريده بالكتابة أكثر من الرسم.

يعلّق النقيب: لم تعجبني إجابته، كما إنها لم تعجب أصدقائي، فلقد كنا في تلك الأيام لانستعمل ذلك الأسلوب المباشر في الحديث عن الأشياء المهمة.

وبعد أن يسرد النقيب في صفحات مثيرة ذكرياته عن مسار العلاقة مع غسان التي أخذت شكلاً لولبياً معقّداً من التفاعل والصراع والنقاش الخلافي الحاد حول الأدب والفن والسياسة والحياة والحب.. يصل بنا كيف اقرّ أخيراً لغسان بموهبته الأصيلة، وكيف فهم بعد سنوات: لماذا يستطيع غسان أن يعبر عما يريده بالكتابة اكثر من الرسم؟

ولعل المفارقة المدهشة في الأمر، أن المسألة لم تكن بالنسبة لغسان تفضيلاً لشكلٍ إبداعي على آخر، ولا انتقاصاً من شان الرسم كوسيلة تعبير لصالح الكتابة كشكلٍ آخر، بل تكمن المسألة في نقطة ابعد غوراً من ذلك بكثير، ويمكن لنا تلمّس ذلك في الإستنتاج الذي توصّل إليه النقيب بعد معايشة طويلة لغسان ومتابعة لأعماله ولأهم المحطات التي مرّ بها كمبدع وكإنسان وذلك في إشارة له يمكن أن تضيء لنا هذا الجانب في شخصية غسان المتعدّدة، إذ يقول: غسان تعامل مع الحياة دوماً من زاوية واحدة، من موقع واحد، من عالم القصص. لقد فهم رموز الكلمات قبل ان يفهم معانيها فراح يرسم القصص لوحات ملوّنة وهو طفل. وفي شبابه كان دوماً يدور حول القصة، كان يقف وراءها وكان يقف امامها، وكان يأخذها إلى كل الجوانب الممكنة.

إذن في البدء كان الرسم بالنسبة لغسان.. وفي البدء كان الرسم موهبته الفطرية الأولى.. وإذا طغت الوسائل التعبيرية الأخرى في مرحلة من حياته على الرسم، فهذا لايقلل من اهمية هذه الموهبة التي كان من الممكن ـ لو طال به العمر ـ أن تفرض نفسها في مراحل لاحقة بقوة كان من المحتمل أن تدهش العالم بإشعاعها!

الحقد الإسرائيلي
على شعب لبنان المقاوم

مرة أخرى يسيل الدم العربي اللبناني في الوقت الإسرائيلي الضائع.

كأنما هو قانون دائم أن تختتم كل حكومة إسرائيلية عهدها بمجزرة بشعة كما تفتتحه بمجزرة أبشع، فتشن حكومة العدو حرباً همجية ضد لبنان مستهدفة ما بناه اللبنانيون بالعرق والجهد والكفاح من بنى تحتية للنهوض بلبنان وإعادة إعماره.

إلا أن عقيدة الإرهاب الصهيوني المنظم بامتياز تأبى إلا أن تزرع الدمار لتحاول تدمير ليس فقط محطات الكهرباء ومراكز الهاتف والجسور والمواصلات، بل تحاول تدمير إرادة الصمود والحياة والمقاومة.

وكأنما هي رسالة يوجهها حكام تل أبيب في لحظة اندحارهم وهزيمتهم في لبنان، حيث يريدون القول: أن لاسلام في لبنان بدون رضوخه، وأن اللبنانيين لن يشعروا بالاستقرار ما لم يقدموا المقاومة وأرضهم وسماءهم على مذبح الإرهاب الإسرائيلي المتعطش دوماً للدماء.

هو الحقد إذن لايشبع ولايكل، حقد المهزوم المنسحب ذلاً على جثث جنوده وعملائه من جزين، وحقد الجيش المذعور كفأر في مصيدة جنوب لبنان باحثاً عن مخرج يحفظ ماء الوجه فلا يجده.

ولكن هل كان الانسحاب من جزين غاية الصبر عند العدو ليفجر انتقامه قاصفاً رجال الإنقاذ والدفاع المدني العزّل إلا من إرادة إنقاذ الحياة.

إن هذا الاعتداء جاء عبر خطة مبرمجة، وفي وقت محدد لإرسال عدة رسائل في آن معاً.

أولى هذه الرسائل موجهة إلى الجبهة اللبنانية الداخلية، بهدف معاقبة الشعب على قراره بالصمود والمقاومة في محاولة للضغط والقول: أن ثمن المقاومة باهظ جداً، وأن عوائدها أقل بكثير من فوائدها، فإذا كان العدو يتخبط في مستنقع الجنوب وينسحب مرغماً من جزين فإن الثمن غالٍ جداً، تدمير ما يبني لبنان ودفع الشعب للتخلي عن المقاومة ومحاولة فك الارتباط بينهما.

الرسالة الثانية أيضاً إلى لبنان بأن لاجدوى من انتظار المسار السوري وبالتالي لاجدوى من ربط المسارين في محاولة للضغط لفك الارتباط للإستفراد بلبنان وتالياً إضعاف سوريا.

ثالث هذه الرسائل موجهة لسوريا للضغط على حزب الله ووقف دعمها للبنان ومساندتها الكاملة له في مواجهة الضغوط.

إن إسرائيل تسعى لمحاولة فرض شروط وفتح بوابات مغلقة في وجهها لكن شعب لبنان برهن للعالم أجمع بأنه لايرضخ للضغوط والتهديد وسياسة الابتزاز.

ولعل ثمة رسائل أخرى إلى الشارع الإسرائيلي لطمأنته ولجيش الاحتلال ليعيد ثقته بنفسه بعد سلسلة الهزائم التي مني بها والخسائر التي دفعها على يد رجال المقاومة.

لكن هذه الرسائل كلها حققت نتائج معاكسة، فقادة إسرائيل وفي خضم حماسهم وسط ضجيج قرع طبول الحرب والقصف والعدوان يتناسون حقيقة مهمة وهي أن جيشهم وصل إلى بيروت عام ١٩٨٢ ثم خرج مهزوماً جاراً خيبته رغم كل دماره ووحشيته وعتاده، وأن الشعب اللبناني الذي حرر بيروت والجبل وصيدا وصور هو الآن في أفضل درجات تلاحمه وتماسكه لتحرير جنوبه وكل ذرة من تراب وطنه صف واحدٌ مع المقاومة، ولعبة دق الأسافين بين الشعب والمدافعين عن كرامته ومصالحه لعبة مكشوفة عفى عليها الزمن.

إذا عبّرت الغارات الإسرائيلية الأخيرة عن شيء، فإنما تعبّر عن مدى اليأس والاحباط التي وصل إليها قادة العدو لدرجة فقدان الاتجاه، فلم تحصد إسرائيل سوى الخيبة ولم يحمل نتنياهو في رحلته إلى النسيان إلا ما حمله سلفه بيرس إثر مجزرة عناقيد الغضب التي عبّرت عن الوجه الحقيقي البشع لعتاة الإرهاب والفاشية.

لقد عبرت الإدارة الأمريكية عن موقفها المعروف والذي تلخص بالصمت المفضوح والسكوت عن العدوان والدعوة لضبط النفس وهي دعوة للبنانيين لعدم الرد وكأنما الدم العربي مجاني ولاثمن له في سوق السلام الأمريكي، وكأنما على لبنان أن يكون مجرد واحة للعدوان والقصف كلما غضب حكام إسرائيل.

إن المطلوب من العرب، كل العرب الوقوف إلى جانب لبنان بكل الإمكانيات والطاقات لأنه مثّل نموذجاً يحتذى في الكفاح والمقاومة والتحدي، فتحية للمقاومين البواسل وللشعب اللبناني الملتحم في خندق المقاومة وتحية للدولة اللبنانية التي ترفض الرضوخ والمهادنة.

إن النموذج اللبناني في المقاومة أعطى نتائجه الملموسة وبأسرع مما تصور البعض وخلق مشاكل حقيقية داخل إسرائيل التي تبحث وبكل السبل كيفية الخروج من المستنقع اللبناني ولاشك في أن طريق المقاومة بنتائجه ودلالاته العميقة يشكل درساً بليغاً لكل من يريد الاستمرار في النضال لانتزاع حقوقه وتحقيق أهدافه العادلة.

AL - HADAF

الهدف

سياسية عربية – تصدر مؤقتا كل أسبوعين

«الهدف» ٤ تموز ١٩٩٩ ـ العدد ١٢٩٤
السنة الثامنة والعشرون ـ الثمن ٢٠ ل.س/ ١٠٠٠ ل.ل
AL - HADAF - No. 1294 - 4/7/1999



رئيس التحرير
د. ماهـر الطاهر

سكرتير التحرير
خليـــل جنداوي

مدير الادارة
محمد خير الاسعد

المديرُ الفني
زهـــدي العـدوي

ثمن النسخة

لبنان ١٠٠٠ل.ل/ سوريا ٢٠ل.س/ الاردن ٥٠٠ فلسا/ العراق ١٠ د.ع/ الإمارت ١٠ درهما/ الجزائر ١٥دينارا/ ليبيا دينار واحد/ تونس ١.٢٥ د.ت/ صنعاء ١٥ ريالا/ السودان ٦ جنيها/ المغرب ١١ درهما/ امريكا وكندا ٣ دولار/ المانيا ٥ ماركات/ اسبانيا ٣٠٠ بيزيته.

الاشتراكات

قيمة الاشتراك السنوي بما فيها اجور البريد:
سوريا ٦٠٠ ل.س/ لبنان والأردن ٣٠ دولارا/ بقية الدول العربية ٥٠ دولارا/ اوروبا ١٢٥ دولارا/ اسيا والريقيا ١٠٠ دولارا/ الامريكتين. واستراليا ١٥٠ دولارا.

☆ يتم الاشتراك بارسال اشعار الايداع بقيمة الاشتراك السنوي (او نصف السنوي) على العنوان التالي: بنك بيروت والبلاد العربية.
شتورا ـ لبنان.
رقم الحساب AC.NO.22004.

☆ او بارسال شيك بنكي باسم «الهدف» دمشق/ ص.ب ٣٠١٩٢

المكاتب

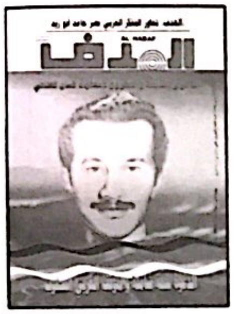
دمشق ـ ص.ب ٣٠١٩٢
دمشق ٦٣٢٨٢٦٧
٦٣١٩٣٧٤
بيروت ٣٠٩٢٣٠
عمان ٦٩٦٣٤٠
صنعاء ٢٠٥٨٤٩
الجزائر ٥٩٤٥٤٨
٣٨٤٣٠٤
بغداد ٧١٩١٦٣٢
٧١٧٤٧١٠

كلمة

في بعض المواقف تشهد اجتماعات هيئة التحرير جدالات طويلة، يبدو خلالها الطرفان المتحاوران صادقين وعلى حق بحيث أن المرء الحيادي يحار مع من يجب أن يتعاطف... ونقصد هنا بعض الحالات التي تضطرنا فيها ظروف العمل إلى تمديد صفحات الشؤون السياسية على مصلحة القسم الثقافي أو العكس..

وللامانة نسجل أن الحالة الأولى هي الغالبة، ووقتها يغضب الزميل مسؤول القسم الثقافي ويعيد بمرارة طرح حججه التي حفظها معظمنا من كثرة تكرارها.. عن الغبن الذي يلحق دائماً بالصفحات الثقافية وعن أهمية المواد التي سنضطر لتاجيلها ليخلص لنتيجة أن الثقافي «حيطه واطي» حيث يستسهل الجميع القفز عليه.. أما في الحالة الثانية أي عندما نضطر لتمديد الصفحات الثقافية فالجدل يكون أكثر حدة وخصوصاً أن غالبية هيئة التحرير تكتب في الشؤون السياسية وترى من الضروري متابعة هذا الموضوع أو ذاك ويؤكدون على حججهم بان تاجيله «سيلحق الضرر بالمجلة»..

اجتماع هيئة التحرير الأخير الذي اقر خطة هذا العدد، لم يشهد جدياً مثل هذا النقاش رغم أن القسم الثقافي «اجتاح الصفحات السياسية» موقعاً فيها «خسائر فادحة» بلغت عشر صفحات بالتمام والكمال وليحتل عملياً نصف العدد.. فبعد ممانعة بسيطة حصل «الثقافي» على كل ما يريد..ومن يدقق في مواد هذا العدد سيجد أن زملاءنا في القسم الثقافي جاؤوا هذه المرة مسلحين بمناسبات وأحداث وأسماء من العيار الثقيل الذي لايقاوم.. بدءً من المتنبي وغسان كنفاني الذي نحيي في هذه الأيام ذكرى استشهاده مروراً بالمفكر العربي نصر حامد ابو زيد الذي خص «الهدف» بحديث هام، وسعد الله ونوس وصولاً للشاعر الروسي الكسندر بوشكين ولاننسى اخيراً الذكرى الثلاثين لتاسيس مجلتنا والتي سنحتفل بها خلال الأيام القادمة وهذا يعني ضمناً أن العدد القادم ايضاً ربما يشهد «زحفاً» ثقافياً.. في كل الأحوال نتمنى أن ينال هذا العدد رضا قرائنا مجددين لهم العهد بكل هذه المناسبات ان نبقى قابضين على الجمر، وفي عقولنا وقلوبنا شعارنا الأول الحقيقة.. كل الحقيقة للجماهير.



موضوع الغلاف:

الدعوة لقمة شاملة

والموقف العربي المطلوب

صفحة ٦

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

شؤون العدو

شؤون عربية

شؤون دولية

الهدف الثقافي

مرايا هذا الزمان

نيلسون مانديلا: الرجل الذي لايزال يكبر...

- خليل جنداوي -

يا لهذا القائد الأسمر نيلسون مانديلا الذي لا يكف عن إعطاء الدروس..

لكن انتبهوا فمانديلا لا يلقي مواعظ في الحكمة، بل هو يمارس ما يريد قوله عملاً... ومن يرغب بالتعلم فليفعل...

لو نظرنا لحياة هذا الرجل الذي يحتفل في ١٨ تموز الجاري بعيد ميلاده الـ٨١، لوجدنا فيها غنىً غير عادي، لدرجة أن أي مرحلة منها كانت كافية لوحدها لإدخاله التاريخ ومنحه صفة العظمة.. فلو مات مانديلا أو قتل قبل دخوله السجن عام ١٩٦٣ لتذكره مواطنوه كمؤسس للجهاز العسكري المقاتل لحزب المؤتمر الوطني الافريقي (المعروف باسم رمح الأمة «M.K»)، والذي بدأ بخوض الكفاح المسلح ضد نظام التفرقة العنصرية منذ خمسينيات هذا القرن.

أما المرحلة التالية في حياة نيلسون مالهيلاهلا مانديلا فهي الأكثر قسوة رغم أنها منحته شهرته العالمية، وصقلت شخصيته مكسبة إياها النضوج والحكمة ونقصد اعتقاله ثم محاكمته البطولية التي رسخته زعيماً معترفاً به، حيث استطاع ببراعة أن يضع النظام نفسه في قفص الاتهام... لكن لا البراعة الخطابية التي تحلى بها ولا قوة منطقه ولا التضامن العالمي الواسع معه كان بامكانهم آنذاك أن يغيروا شيئاً في الحكم الجائر المعروف سلفاً والذي نطق به القاضي: السجن مدى الحياة لمانديلا ورفاقه، قضى منها ٢٧ سنة كاملة، رفض أن يظهر خلالها أي ضعف أو تراخ أو استعداد لمساومة حريته الشخصية بمبادىء حزبه ومستقبل وطنه... وبلا شك إنه كان مدركاً تماماً منذ ذلك الوقت لمكانته ولدوره التاريخي، وكيف ينظر الشعب له وماذا ينتظرون منه...؟ فمن المؤكد ان هذا الإدراك بالتحديد هو الذي فوّلذ إرادته الحديدية أصلاً وهيأها للصمود الأسطوري الذي تشبث حتى آخر لحظة به، ربما لأنه قدّر أن أي تخاذل أو حتى تراجع بسيط منه كشخص بات رمزاً كان سيؤذي القضية، قضية جنوب إفريقيا بسودها وبيضها وباقي أعراقها..

في أواخر التسعينيات كانت العقوبات الدولية قد أنهكت نظام الأبارتيد وأوصلته إلى حافة الانهيار، ولا ننسى هنا أن العقوبات لم تأتِ بفعل عوامل خارجية فقط - رغم أهميتها - بل جاءت أساساً بفعل مخططات ذكية للغاية دبرتها قيادة حزب المؤتمر الوطني وخاضت خلالها نضالات عارمة تُوجت بسلسلة من الانتفاضات الشعبية البطولية. آنذاك لم تجد الحكومة مفراً من مفاوضة مانديلا في سجنه، كان هدفهم إبعاد شبح الهزيمة الذي بدأ يلقي بظلاله على النظام أو على الأقل تخفيف آثار هذه الهزيمة... فحاولوا إقناعه بالتعاون معهم لإنهاء قوانين الفصل العنصري تدريجياً وعبر فترة زمنية طويلة أو بمنح البيض بعض الامتيازات خلال الفترة الانتقالية.. لكن مانديلا الذي بات موقناً من النصر لم يقبل بأقل من إقامة دولة ديمقراطية يتمتع كل مواطنيها بنفس الحقوق..

ومع تزايد الضغوط الداخلية والخارجية أرغم النظام على اطلاق سراح في شباط ١٩٩٠، وليضع على رأس أولوياته مهمة ترتيب البيت الداخلي لحزب المؤتمر الافريقي ورص صفوفه، فلجم المتطرفين سواء من اليمين أو اليسار.. أي أولئك الذين يستعجلون التسوية بنفاذ صبر ولو بالتخلي عن بعض المبادىء، والآخرين الذين يرفضون أي تسوية مع «البيض».. ورغم أن مانديلا كان يتمتع فعلياً بسلطة هائلة في حزب المؤتمر الوطني سواء لانتخابه رئيساً للحزب بالاجماع، أو بحكم شعبيته الواسعة جداً في صفوف المواطنين، إلا أن الرجل لم يخرق أبداً التقاليد الديمقراطية التي آمن بها فعلاً وبعمق، فكان يشاور أعضاء لجنته التنفيذية باستمرار ويشير إليهم غير مازح أو مستخف بـ«رؤسائي»... ولتستمر المفاوضات بين الحزب والحكومة لتثمر في ١٨/ ١٩٩٣/١١ عن توقيع الوثيقة الدستورية التي أنهت عملياً نظام الفصل العنصري ومهدت لأول انتخابات حرة جرت بعد ستة أشهر فاز بها مانديلا ليصبح أول رئيس أسود لبلاده منذ حوالي ثلاثة قرون... ولاشك أن نجاح مانديلا في إعادة توحيد حزبه، ساهم إلى حد كبير في الانتقال السلمي السلس للسلطة من حكم الأقلية البيضاء إلى الأغلبية السوداء، رغم أن أنصار النظام السابق كانوا يتوقعون بل يتمنون أن تشهد هذه المرحلة حرباً أهلية تجهض الجديد وتعيد إحياء نظام التفرقة العنصرية...

ولا تقل مرحلة مانديلا رئيساً قوة عن سابقاتها، ونتذكر هنا ما قاله الكاتب البريطاني انتوني سامبسون الذي كتب قبل فترة «السيرة المأذونة لنيلسون مانديلا»: «كما لو كان قد ولد في الرئاسة ولها...»، حيث عمل بجد منذ اللحظة الأولى ليكون رئيساً لكل الجنوب افريقيين سوداً وبيضاً، وبدا وكانه نسى كل عذاباته السابقة وصفح عن مضطهديه بمن فيهم سجانيه والمدعي العام الذي تسبب في سجنه الطويل، وكسب ثقة كبار الموظفين البيض في الحكومة السابقة وعين كوادر من السود في مواقع حساسة.. أما في علاقات بلاده الخارجية فتشبث بمبادئه وأعلن أن جنوب إفريقيا الجديدة لن تخضع للابتزاز وتتخلى عن أصدقائها الذين ساعدوها أثناء نضالها... وبعد تفاقم مشاكله مع زوجته السابقة ويني المعروفة بلقب «أم الشعب» ذهب ببساطة إلى المحكمة وهو الرئيس ليطلب الطلاق وليشرح معاناته وآلامه للقاضي وأمام الجميع... بعدها بفترة اشتمت وسائل الاعلام في بلاده رائحة علاقة بين مانديلا والسيدة غراسيا ماشيل ارملة رئيس موزمبيق السابق، فهلل الجميع فرحاً للرئيس العاشق الذي بدا خجلاً، بل وشجعوه على الزواج وهو على أبواب الثمانين... وعندما شعر مانديلا أن السفينة أقلعت إلى شاطئ الخلاص ولم تعد تعترضها مخاطر جدية، أعلن ان جنوب إفريقيا تحتاج إلى زعامة اكثر شباباً، وسلم القيادة عملياً منذ حوالي السنتين لنائبه وابن رفيقه ثابو مبيكي...

لم يتشبث مانديلا بالسلطة وهو الذي ينحدر من عائلة ملكية حيث أحد أجداده كان ملكاً قبلياً في أحد مقاطعات جنوب إفريقيا. ولو آثر مانديلا البقاء في السلطة لما غضب منه أو لامه أحد، فبلاده التي تقدّره وتبجله مازالت فعلا بحاجة لجهوده وكفاءته، لكن مانديلا فضّل أن يعطي درساً لساسة دول العالم الثالث - نتمنى الا يكون الأخير - بأن الأوطان تستحق دائماً الأفضل، وهذا الأفضل ياتي بالتغيير لا بالجمود.. - والقائد العظيم فعلاً هو الذي يطلق الطاقات العظيمة في بلاده، كذلك فالزعيم مهما بلغت انجازاته ومواهبه يظل انساناً... ومانديلا يحبّذ أن يقضي أيامه الأخيرة كإنسان مع زوجته وأحفاده بعيداً عن مشاكل الحكم وهمومه واغراءاته...

في الختام... وبتسليط نظرة سريعة على سيرة مانديلا نكتشف أنه في انتصاره الاشبه بمعجزة استخدم أسلحة كانت بسيطة بقدر ما هي فعالة والأهم من ذلك انها لا تختلف كثيراً عما تعلمناه في الفباء السياسة ونقصد: وضوح الرؤية في كل مرحلة مع التشبث بالهدف الأساسي... تحديد معسكر الأعداء ومحاولة تقليصه ما أمكن... توسيع معسكر الأصدقاء باستمرار...

في كل الأحوال تظل تجربة جنوب إفريقيا بقيادة مانديلا في قهر دولة الأبارتيد القوية والتي وصلت في مرحلة ما إلى امتلاك السلاح النووي، غنية جداً وجديرة بالمزيد، المزيد من القراءة والتمحيص.... ■■

الحدث

أعلنت خمس عشرة دولة عربية حتى الآن موافقتها على دعوة مصر لحضور قمة عربية كانت قد تكررت الدعوات لعقدها منذ أن بادر سمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة مؤكداً أهمية وضرورة التئامها لتحقيق مصالحة عربية عربية شاملة تعالج الجراح العميقة التي أصابت الجسد العربي بالوهن والمرض والتي في حال استمرارها وتواصلها لن تؤدي إلا إلى المزيد من الضعف والتراجع أمام التحديات التاريخية الكبرى التي تواجه الأمة العربية في هذه المرحلة العصيبة والمعقدة من تاريخها.

الدعوة لقمة شاملة والموقف العربي المطلوب..

د. ماهر الطاهر

إن آخر قمة عربية موسعة تم عقدها في الحادي والعشرين من حزيران ١٩٩٦ في القاهرة رداً على فوز زعيم تكتل الليكود بنيامين نتنياهو في الانتخابات الإسرائيلية والذي أعلن لاءاته الشهيرة: لا لدولة فلسطينية مستقلة، ولا للانسحاب من الجولان، ولا للانسحاب من القدس واعتبارها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل، ونعم لتوسيع المستوطنات والاستيلاء على المزيد من الأراضي.

انعقدت تلك القمة واتخذت قرارات إيجابية في حينه، لكن لم يتم مواصلة العمل والجهد العربي لتحويل تلك القرارات إلى واقع ملموس، واستمر التشرذم والانقسام العربي الأمر الذي مكّن إسرائيل من تحقيق المزيد من أهدافها في توسيع وتصاعد الاستيطان وتهويد القدس واستمرار الاعتداءات الوحشية على جنوب لبنان وبقاعه الغربي، وكذلك تجميد العملية السياسية على جميع المسارات لفرض حقائق جديدة وخاصة في الأراضي الفلسطينية المحتلة.

بعد الانتخابات الإسرائيلية التي جرت في السابع عشر من أيار والتي فاز فيها الجنرال أيهود باراك ارتفعت وتائر الحديث عن إمكانية إحياء «عملية السلام» والعودة إلى المفاوضات، حيث نشأ وولد مناخ جديد على المستوى الدولي والإقليمي والعربي يختلف عن المناخ الذي كان سائداً إثر تسلم تكتل الليكود زمام السلطة. وبالتالي فإن من المتوقع عودة المفاوضات مع الحكومة الاسرائيلية الجديدة سواء على المسار السوري ـ اللبناني أو على المسار الفلسطيني. ولاشك أن التحديات التي يواجهها العرب في ظل حكومة باراك لاتقل أهمية وخطورة عن التحديات السابقة، لأن زعيم إسرائيل الجديد يأتي إلى قمة السلطة من موقع قوة على المستويين الداخلي والخارجي: فعلى المستوى الداخلي يحاول الحصول على أوسع ائتلاف ممكن لتقوية قلعته وتحصينها، وعلى المستوى الخارجي فإنه يحظى بتأييد وارتياح واسعين وخاصة من الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا.

إن الحكومة الإسرائيلية الجديدة ستسعى لتحسين صورة وسمعة إسرائيل وعلاقاتها الخارجية بعد أن اهتزت هذه الصورة إثر مجيء نتنياهو وممارساته الاستفزازية، وباراك سيعمل كل ما بوسعه لتعديل هذه الصورة وتقديم نفسه كرجل سلام مستعد للتفاوض ولكن على أساس الحفاظ على أعلى قدر ممكن من مصالح إسرائيل وأهدافها ومحاولة فرض الوقائع الاستيطانية التي تم تجسيدها على الأرض الفلسطينية.

وفي مواجهة ذلك، فإن المرحلة القادمة واستحقاقاتها تتطلب بلورة موقف عربي جاد وفاعل من خلال إحياء التضامن والنهوض بالواقع والعمل على تصليب وتقوية العامل الذاتي العربي.

إن إسرائيل تشكل في معادلة الصراع العربي ـ الإسرائيلي طرفاً واحداً متجانساً، بينما يشكل العرب أطرافاً متعددة ولهذا الوضع انعكاساته السلبية على العرب جميعاً لأن إسرائيل تعمل على دعم وبناء قوتها الذاتية بالمعنى الشامل وإجهاض وتشتيت القوة العربية. ولانقصد بتجانس الطرف الإسرائيلي عدم وجود خلافات بين الأحزاب والقوى السياسية المختلفة لأن مثل هذه الخلافات قائمة وموجودة، ولكن نقصد بذلك وجود ناظم عام حول المصالح والأهداف العليا، وهذا الناظم العام ينبغي أن يتفق عليه العرب من خلال التأكيد على الالتزام بقرارات القمم العربية المتعلقة بقضايا الصراع العربي ـ الإسرائيلي وتطبيق كامل قرارات الشرعية الدولية.

تمكنت إسرائيل وعلى ضوء تطورها النوعي الاقتصادي والعسكري وتقدمها التكنولوجي من التحول إلى قوة إقليمية لاتفكر في الدفاع عن نفسها فحسب، ولعب دور التابع الذي يؤدي وظيفة استعمارية محددة، بل انتقلت طموحاتها وبرامجها إلى



لعب دور الشريك الذي يهدد الأمن القومي العربي ويسعى جدياً إلى لعب دور رئيسي محوري في المنطقة.

وفي الجهة المقابلة لم يتمكن العرب من إيقاف اندفاعة المشروع الصهيوني وواجهوا سلسلة من الاخفاقات، وانزلق بعضهم إلى توقيع اتفاقات منفردة أثرت بصورة سلبية خطيرة على وحدة الموقف العربي.

حققت إسرائيل خلال السنوات القليلة الماضية مكاسب كبيرة في ظل ظروف دولية وإقليمية مناسبة عرفت كيف تستفيد منها إلى أبعد الحدود. ولعل من أهم العوامل التي مكّنتها من ذلك: تفكك النظام العربي وتراكم سلبيات الضعف على مستوى العمل العربي المشترك.

شهد النظام العربي حالات مد وجزر، لكن الصورة بالمحصلة سلبية فقد عجزت جامعة الدول العربية عن تطوير أدائها وتطبيق مواثيقها، كما عجزت عن تسوية المنازعات والتناقضات الداخلية بين الدول العربية بما يحول دون تفاقمها واستفادة العداء من انفجاراتها غير المحكومة.

إن عصر التكتلات الاقتصادية الكبرى بات يفرض على العرب تحديات مصيرية تتعلق بوجودهم ومستقبل أجيالهم، حيث تبرز الحاجة الموضوعية المتزايدة للتكتل والتكامل والسوق العربية المشتركة والعمل على أساس إعادة الاعتبار للعمل القومي القائم على أسس علمية يمكن أن تؤدي إلى تكاملٍ وتنميةٍ اقتصادية قومية شاملة. فلن تستطيع البلدان العربية مواجهة تحديات العولمة في ظل التشرذم والتفكك.

إن إعادة الاعتبار للعمل العربي المشترك باتت ضرورة وحاجة موضوعية للدفاع عن الذات وحمايتها. فها هو لبنان يتعرض لاعتداءات وحشية وقصف همجي من الطائرات الإسرائيلية التي تستهدف تدمير البنية التحتية لهذا البلد العربي الصامد الذي مثل نموذجاً يحتذى في المقاومة والتصدي للعدوان والاحتلال، ولاشك أن هذا التصعيد العسكري الإسرائيلي يدلّ بشكل واضح على مدى فاعلية وعمق وتأثير المقاومة اللبنانية التي أحدثت إرباكات عميقة داخل إسرائيل وهو يستهدف أولاً الانتقام من الشعب اللبناني وكفاحه الباسل الذي ألحق بقوات الاحتلال خسائر ملموسة ومتواصلة، ويستهدف ثانياً الضغط على لبنان في محاولة يائسة لفك علاقته مع سوريا والاستفراد به لفرض شروط تتعارض مع القرار ٤٢٥ الذي يؤكد على الانسحاب الإسرائيلي من الأراضي اللبنانية المحتلة دون قيد أو شرط، ويستهدف ثالثاً الضغط عل سوريا في محاولة لارباك موقفها التفاوضي وخلق مشكلات لها في لبنان.

ألا تستدعي الاعتداءات المتواصلة والمتكررة على لبنان وقصف عاصمته ومحاولة تدمير بنيته التحتية وقفة عربية شاملة لمواجهة هذا الوضع؟

إن الأمة العربية تواجه في الظروف الراهنة الكثير من التحديات التي تستوجب وقفة عربية جماعية وموقفاً عربياً متضامناً لمواجهتها ويبرز في مقدمة هذه التحديات:

- استعادة الحقوق الوطنية للشعب الفلسطيني وفي مقدمتها حقه في العودة وتقرير المصير وإقامة دولته المستقلة وعاصمتها القدس وفق عمل عربي موحد لتطبيق قرارات الشرعية الدولية وقرارات القمم العربية ذات الصلة بالقضية الفلسطينية.
- دعم سوريا ولبنان لاستعادة الأراضي العربية المحتلة في الجولان وجنوب لبنان وبقاعه الغربي وبلورة موقف عربي ضاغط يرفض أي تطبيع أو تعاطي مع الدولة العبرية ما لم تلتزم بالتنفيذ الكامل لقرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن الدولي.
- دعم موقف دولة الإمارات العربية المتحدة لاستعادة الجزر العربية الثلاث أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى واعتبار مسألة الجزر قضية عربية قومية لاتخص الإمارات العربية وحدها، بل تتعلق بمصالح الأمة العربية بأسرها.
- إنهاء الحصار الظالم على شعب العراق والمستمر منذ سنوات طويلة، والذي يذهب ضحيته آلاف الأبرياء من النساء والأطفال والشيوخ. وهذا لن يتحقق إلا بموقف وقرار عربي على أعلى مستوى لوضع حدٍ للمأساة الانسانية التي يعانيها جزء أساسي من جسد الأمة العربية.

إن قمة عربية شاملة لتحقيق مصالحة عربية - عربية تتجاوز الماضي وتضمد الجراح على أسس واضحة تنطلق من المصالح العليا والأساسية للعرب باتت مسألة ملحة لاتحتمل التأجيل تتطلبها ضرورات الأمن القومي للبلدان العربية كافة.

- التضامن مع ليبيا والسودان لإنهاء أي شكل من أشكال الحصار الذي يستهدف إضعاف البلدين وشل طاقاتهما التي تشكل جزءً لايتجزأ من طاقات وإمكانيات الأمة العربية.

لاشك في أن محاولة إضعاف وتفتيت العرب وتدمير ما تبقى من النظام الإقليمي العربي شكّل ولازال أحد أهم أهداف السياسة الإسرائيلية وفي هذا السياق يمكن تفسير استمرار الاعتداءات العسكرية على لبنان وتشديد الضغوط على سوريا واستمرار الحصار والتجويع لشعب العراق - إضافة بطبيعة الحال - لحصار الشعب الفلسطيني وتهويد أرضه ومقدساته من خلال تصاعد سياسة الاستيطان وفرض سياسة الأمر الواقع لفرض حل يحقق مصالح اسرائيل وأهدافها العدوانية.

لقد واجه العرب تحولات عالمية وإقليمية هائلة بعد انهيار الإتحاد السوفيتي وحرب الخليج الثانية، بل شهدت البشرية بأسرها موجات وهزات عميقة طالت بتأثيراتها مجمل مناحي حياتها السياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه التطورات على العالم العربي الذي بات يواجه تحديات كبرى وخطيرة تستوجب رسم استراتيجية عربية شاملة وعلى كافة المستويات السياسية والاقتصادية والعسكرية لمواجهة المستقبل من خلال إعادة الاعتبار للتضامن العربي والتنسيق بمفهومه الشامل وتفعيل مؤسسات الجامعة العربية قولاً وعملاً من خلال استخلاص دروس تجربتها الماضية وكل ذلك لن يتحقق إلا من خلال قمة عربية تبحث في العمق مشكلات الواقع العربي والسبل الكفيلة بمواجهة هذه المشكلات ■■

السلام متوقف على اقتسام الأرض والمياه

ترجمة: رندة بعث

التحديات: الأرض، كما المياه، هما في مركز الصراع بين المجتمعين، واتفاقيات السلام لم تسوِّ شيئاً.

الأرض والمياه في قطاع غزة والضفة الغربية هما حجر عثرة دائم بين الفلسطينيين والإسرائيليين. الأرض التي إما سُرقت أو احتُلت أو اشتُريت أو بيعت حسب الحالة، لاتزال حتى اليوم في مركز المطالبات التي هي موضوع التسويات المعقدة. فمن يطمح للسيادة على الأرض عليه أن يؤمن السيطرة عليها، ومن يطمح إلى التحكم بمصيرها ينبغي عليه أن يهيمن على موارد المياه. وقد تظاهرت أولى التوترات فيما يتعلق بالأرض والمياه في بداية القرن، نتيجةً لبدء تنفيذ المشروع الصهيوني فقد هدفت الصهيونية التي وُلدت في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى حلّ المسألة اليهودية في أوروبا الشرقية بإقامة دولةٍ يهودية في فلسطين التي كانت حينذاك ولاية عثمانية. لم يكن بالإمكان لهذا المشروع الذي تضمن هجرة اليهود إلى إسرائيل وتنظيمهم في مجتمع سياسي واستيلائهم على الأرض إلا أن يصطدم بالشعب العربي الذي كان يعيش على نفس المساحة. وللاستيلاء على الأرض، وتحركت الحركة الصهيونية على مستويات عدة: المستوى الدبلوماسي، وتجنيد الموارد المالية، وشراء الأراضي، وسنّ القوانين، والقوة المسلحة، وإجلاء الشعب والإحتلال.

استطاعت الحركة الصهيونية حتى عام ١٩١٧ أن تؤسس البنى الكفيلة بتحقيق برنامجها مثل: فروع المنظمة الصهيونية العالمية (١٨٩٩) التي تهدف للتجنيد السياسي، والمصرف الإستيطاني اليهودي (١٨٩٧) لتمويل النشاطات، والصندوق القومي اليهودي (١٩٠١) لشراء الأراضي في فلسطين، وذلك رغم النتائج الشديدة المحدودية لدبلوماسيتها تجاه العثمانيين ولفعلها المباشر باتجاه الهجرة اليهودية وشراء الأراضي في فلسطين. وسوف تبرهن هذه البنى على أنها أدوات فعالة فور تحديد البريطانيين للإطار الإقليمي والحقوقي للنشاط الصهيوني. فقد حُددت فلسطين الموضوعة حينذاك تحت الانتداب البريطاني كإطار لتأسيس وطنٍ قومي يهودي، ورُسمت الحدود

> الملف الخاص بالقضية الفلسطينية، الذي نشرته مجلة جيو Geo الفرنسية في عددها رقم ٢٤٣ أيار ١٩٩٩ تحت عنوان: رحلة في قلب شعب، تناول برصانة وموضوعية مجموعة من القضايا الإشكالية الساخنة التي تمس جوهر الصراع مع العدو الإسرائيلي، بأقلام باحثين وأكاديميين كبار. لأهمية هذا الملف، إرتأت الهدف ترجمة هذين المقالين حول اقتسام الأرض والمياه والسلام المتوقف حولهما للكاتبين كميل منصور أودي سينيوليس وحول قضية اللاجئين للكاتبة بسمة قضماني درويش.
>
> المحرر

الشمالية الشرقية لفلسطين بحيث تؤمّن لهذا الوطن الموارد الكافية من المياه. كما شجع الانتداب الهجرة اليهودية إلى فلسطين واستيلاء اليهود على الأراضي. ولحماية أراضيهم وإقليمهم اضطر العرب الفلسطينيون مذاك إلى مواجهة عجزٍ كبيرٍ مصدره القانون العام، سواء الدولي منه أمِ الدستوري الذي وضع ضدهم، وذلك رغم تشكيلهم للاغلبية (كان عدد العرب عام ١٩٢٢ يبلغ ٦٦٤٠٠٠ نسمة بينما كان عدد اليهود ٨٤٠٠٠ نسمة) ورغم امتلاكهم للمساحة الأوسع من الأراضي. وبفضل هذه الأسلحة القانونية، سمحت بريطانيا العظمى لمؤسسات الحركة الصهيونية بالحصول على أكبر مساحةٍ ممكنة من الأراضي وبخلق مستعمراتٍ في أماكن استراتيجية وبالحصول على امتياز لاستثمار مياه نهري الأردن واليرموك، وكذلك بإرساء القواعد المؤسسة للدولة.

وفي عام ١٩٤٧ وجد اليهود انفسهم يحصلون على ٥٧٪ من الأراضي وفقاً لمخطط الأمم المتحدة للتقسيم، وذلك رغم عدم تمكنهم من الحصول على اكثر من ٦٪ من الأراضي الفلسطينية ورغم كونهم لم يكونوا يشكّلون سوى ثلث عدد السكان. واضيف التوسع الناتج عن الانتصارات العسكرية إلى هذا التوسع المشهود في المساحة الذي اعتُرف به للحركة الصهيونية بفعل السياسة الدولية. وفي عام ١٩٤٩، غداة الحرب ضد العرب، كانت دولة إسرائيل تسيطر على ٨٠٪ من فلسطين ولم تترك سوى الضفة الغربية التي ألحقتها الأردن بها، وقطاع غزة الذي تديره مصر. وطُرد معظم الفلسطينيين الذين كانوا يعيشون ضمن ما أصبح حدوداً لدولة إسرائيل، حيث بلغ عددهم حوالي المليون شخصاً، ولم يتمكن من البقاء سوى ١٥٠ ألفاً من الفلسطينيين. وقد سمح هذا الوضع الجديد لدولة إسرائيل بصياغة وسائل قانونية للإستيلاء على الأرض. وهكذا، أعطى القانون الإسرائيلي الذي سمّيَ بقانون الملاّكين الغائبين في العام ١٩٥٠ الحق بإدارة الأراضي المهجورة لوكالةٍ تابعةٍ للدولة، وأعلن بأن هذه الأراضي لايمكن التصرف بها. وبإضافة أراضي الدولة والأراضي المنتزعة من العرب الإسرائيليين (عرب ١٩٤٨) فإن ٩٢٪ من المساحة الكلية للأراضي في دولة إسرائيل هي مملوكة للدولة، ولم يتمكن العرب الإسرائيليون من الإحتفاظ سوى بما يمثل ١-٢٪ من الأراضي الإسرائيلية. وفي عام ١٩٦٧، تم اجتياز خطوة جديدة، حيث اتسعت سياسة مصادرة الأراضي والموارد المائية ووضعها تحت هيمنة الدولة، خلافاً لترتيبات القانون الدولي، وذلك في قطاع غزة والضفة الغربية اللذين احتلتهما اسرائيل بنتيجة الحرب.

إن الهدف النهائي لهذه السياسة هو تحويل الموارد الطبيعية في الضفة الغربية إلى أملاك عامة، سواء كاملاكٍ لدولة إسرائيل بشكلٍ مباشر للمؤسسات الإسرائيلية المدنية (مؤسسة ميكوروت Mekorot للمياه مثلاً). إلا إنه ما إن يتم الاستيلاء على هذه الموارد من قبل الدولة حتى يصبح شراؤها محصوراً على افراد يهود. وهكذا وجد الفلسطينييون بان اكثر من ٥٠٪ من المساحة الكلية لأراضي الضفة الغربية تاخذ وضعية أراضٍ للدولة، كما أصبحت كل احتياطاتهم من المياه ملكية عامة لدولة إسرائيل.

لم تغير عملية السلام التي بدات في بداية التسعينات بين الطرفين من المعطيات شيئاً، رغم استناد ها على مبدأ الأرض مقابل السلام. فالسيطرة الإسرائيلية على الموارد المائية وعلى معظم الأراضي الفلسطينية بقيت راسخة. وبالفعل، فإن الاتفاقيات الموقعة في اوسلو بين الفلسطينيين والإسرائيليين لم تقم سوى بإدامة السيطرة الإسرائيلية على الأراضي في

غزة والضفة الغربية، لكن بموافقة المجتمع الدولي هذه المرة. واعترف هذا المجتمع للسلطة الفلسطينية بسلطةٍ متسعة نوعاً ما على شعبها، لكن أكثر محدودية بكثير على أرضها.

لايسيطر الفلسطينيون على تنظيم استغلال الأرض إلا في المناطق المدعوة A والتي تسمى بأراضي الحكم الذاتي، هذه المناطق التي لم تكن تشكل في العام ١٩٩٥ سوى ٤٪ من المساحة الكلية للضفة الغربية وقطاع غزة (١٧٪ إذا طبقت الإتفاقيات الأخيرة الموقعة في واي بلانتيشن في تشرين الثاني ١٩٩٨). أما في المناطق B التي تغطي ٢٤٪ منها (٢٤٪ كذلك تبعاً لإتفاق واي)، والموضوعة تحت السيطرة المشتركة الفلسطينية الإسرائيلية، فإن سلطات السلطة الذاتية محدودة من حيث تطور واستخدام الأراضي بسلسلة من الاجراءات التي حددتها الاتفاقيات. أما الباقي وهو حوالي ٧٢٪ من المساحة التي يطالب بها الفلسطينيون (٥٩٪ إذا ما طبقت اتفاقيات واي) فهي لاتزال تحت السيطرة الإسرائيلية الكاملة (المنطقة C). هذه الأراضي لايمكن الوصول إليها ولا البناء عليها بالنسبة للفلسطينيين.

إلا أن الإسرائيليين يطيلون إلى ما لانهاية سياسة المصادرة وإنشاء المستوطنات وخاصة في الضفة الغربية، وذلك رغم ما تنص عليه اتفاقيات السلام وقواعد القانون الدولي. وهكذا، ومنذ توقيع إعلان المبادئ حول الحكم الذاتي الفلسطيني عام ١٩٩٣، قامت إسرائيل بمصادرة ٣٢٥٠٠ هكتاراً من الأراضي، كما لم يتوقف حجم المستوطنات عن النمو. وقد تم بالأخص تكثيف إنشاء طرق تهدف إلى وصل المستوطنات ببعضها وبأرض إسرائيل. وفي الحقيقة وحسب أوسلو، تُختصر فلسطين بمناطق التواجد الفلسطيني. وليس لدى الموجودة في المناطق A والتي تشكل اليوم الجيوب الوحيدة للحكم الذاتي سوى قليل من الأمل في التوسع والتطور، حيث إنها كلها محاطة بمستوطنات وبطرق التفاف إسرائيلية. إن السياسة الإسرائيلية واضحة، وهي تتلخص في حصر الجيوب السكانية بين فكي كماشة والعمل على أن يكون المحيط الرئيسي لمساحة الضفة الغربية تحت السيطرة الإسرائيلية.

يمكن للوضع أن يصبح متفجراً في بعض المناطق، وهذا ما حصل في قطاع غزة ومدينة بيت لحم المحاطة من كل الجهات. وفي نهاية المطاف، فإن الفلسطينيين المحرومين من أية أرض يستطيعون زرعها محرومون أيضاً من المصادر الحيوية اللازمة للتطور الاقتصادي. إن نقص الموارد يتظاهر بشكلٍ خاص فيما يتعلق بالمياه. وإذا كان الإسرائيليون، بتوقيعهم على إتفاقيات أوسلو، يعترفون لأنفسهم نظرياً بالحق في المياه للفلسطينيين، فإنهم في الواقع يمارسون استيلاءً تاماً على المياه. وهكذا، وبينما تستنفذ التجمعات الإسرائيلية والمستوطنات اليهودية في الضفة الغربية وقطاع غزة أكبر قسم من الموارد المائية لهاتين المنطقتين، يُمنع الفلسطينيون من حفر أية بئر للماء، حتى في المناطق A الخاضعة لسيطرتهم. وبسبب الضخ المسرف لإحتياطيات المياه في قطاع غزة من قِبَل الإسرائيليين، أخذت مياه البحر تتسرب إلى الطبقات الجوفية، ونتيجة زيادة ملوحتها، أصبحت هذه المياه غير شروبة وغير صالحة للزراعة.

كميل منصور
أودي سينيوليس
مدير وباحث
في مركز الحقوق في جامعة بيرزيت

هوامش

(1) لدى العرب كمية من المياه تقل عشرات المرات عن اليهود:
يلجأ الفلسطينيون في بيت لحم إلى أحواض سلمون ليترطبوا. تسيطر الدولة العبرية على المياه الجوفية. ولاتسمح للفلسطينيين إلا بخمسين متراً مكعباً من المياه سنوياً لكل فرد، بينما تعطي للمواطن الإسرائيلي ٤٥٠ متراً مكعباً.

(2) تحتل إسرائيل ٥٠٪ من الأراضي في الضفة الغربية
تشكل السهول الخصبة في شمالي نابلس جزءاً من الضفة الغربية. إلا ان خمسين بالمائة من هذه المنطقة يبقى تحت السيطرة الإسرائيلية ولايزال حل مسألة الأرض الذي تتضمنه اتفاقيات أوسلو قاصراً.

(3) سوف يتقاسم أبناء إبراهيم الذهب الأزرق:
تشرب نعجات ماءً من قناة للري قرب أريحا. إلا ان المياه المنبثقة عن ينابيع تلك المنطقة الجبلية من الضفة الغربية تبقى تحت السيطرة المطلقة للإسرائيليين.

(4) في غزة، تشكل مياه الشرب مشكلة حقيقية
في غزة، تشكل المياه، وخاصة مياه الشرب، سلعة ثمينة. لاتعطي المياه الجوفية الخاضعة للإستثمار المسرف ولتسرب مياه البحر، سوى سائل ذي طعم مالح في الصنبور واصبحت المياه المعدنية بديلاً لاغنى عنه للمستهلكين الأكثر ثراءً - إلا أن ثمن الزجاجة المرتفع (ما يعادل خمسة فرنكات فرنسية لزجاجة البركة وهي مياه معدنية مصرية تنتجها شركة فيتيل Vittel الفرنسية، وهي الأوسع انتشاراً في غزة) يجعل من هذا الترف غير ممكن بالنسبة لمعظم الفلسطينيين في غزة حيث لايتجاوز متوسط الراتب الشهري ما يعادل ١٧٠٠ فرنكاً فرنسياً. ويتم حالياً إجراء أشغالٍ تهدف إلى تحسين النوعية الجرثومية للمياه وتوزيعها. وهناك مشروع بناء معمل لتحلية المياه لايزال قابعاً في الأدراج بسبب نقص التمويل. وفي بعض مخيمات اللاجئين في خان يونس ورفح، لاتوجد شبكة مياهٍ لدى السكان وينبغي عليهم الذهاب إلى إحدى نقاط مياه الشرب النادرة. وكما في بقية الأراضي الفلسطينية، يلاحظ عدم تناسب جليّ في كمية المياه الموضوعة تحت تصرف السكان الفلسطينين والمستوطنين الإسرائيلي ين.

(5) في مخيمات اللاجئين، يلتقي الأطفال في نقطة مياه الشرب

رهان المياه

يبقى الماء، وهو ثروة نادرة، في قلب مشاغل الطرفين.

حسب الأخصائي الفرنسي بالشؤون الإسرائيلية، آلان دييكوف، فإن البلد يستجر موارده من المياه من الجولان، المصدر الرئيسي لنهر الأردن، ومن نهر الأردن ذاته، ومن الليطاني (في جنوب لبنان الذي يسيطر عليه) ومن مرتفعات الضفة الغربية. تستثمر الدولة العبرية ثلاثة أحواض جوفية في المنطقة، بينها حوضان يمتدان ضمن إسرائيل والضفة الغربية والثالث في الجزء التابع للضفة الغربية من سهل نهر الأردن. وبما أن معظم الزراعة الإسرائيلية مستحيلة بدون الري، وخاصة لتغذية الزراعات في صحراء النقب، فإن السيطرة على الموارد المائية تبقى عقبة دائمة بين الإسرائيليين والفلسطينيين. إن الإستهلاك السنوي لكل شخص في الأراضي الإسرائيلية ـ الفلسطينية يبدي فروقات جلية (٤٥٠ م3 لكل إسرائيلي مقابل ٩٠ م٣ لكل فلسطيني في الأراضي الخاضعة للحكم الذاتي). وللمقارنة، فإن الإستهلاك الفرنسي للمياه هو ٨٠٠ م٣ لكل شخص سنوياً. يقدِّر الفلسطينيون بأن ٦٠٪ من مياه الضفة الغربية إما أن يتم استهلاكها في المنطقة من قِبَل المستوطنين أو أنها تساق نحو إسرائيل . علاوة على ذلك فإنه ليس للفلسطينيين الحق بحفر آبار جديدة ولا بتعميق تلك الموجودة إلى ما هو أكثر من عشرين متراً، بينما يستطيع المستوطنون الحفر حتى ٨٠ متراً. ولن تجد مسألة المياه حلاً إلا عبر إدارة مشتركة مع شركاء مثل الأردن أو تركيا.

المصادر:

(1) إسرائيل/ فلسطين غداً.
(2) أطلس فيليب لومارشان وليا راضي منشورات كومبلكس.

شتاتهم موجود في كل القارات

المنفى: يقدّر عدد الفلسطينيين الذين انتشروا في أرجاء الأرض كلها بحوالي خمسة ملايين، لازال ثلاثة ملايين ونصف منهم لاجئين.

ترك ثلاثون ألفاً من البرجوازية الفلسطينية في يافا وحيفا والقدس وغيرها البلاد في الأشهر التي تلت التصويت في الهيئة العامة للأمم المتحدة على القرار ١٨١ حول تقسيم فلسطين في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧، ورحلوا باتجاه بلدان أكثر أماناً. لقد دفعهم شعورهم بعدم الاستقرار وإحساسهم بالإضطرابات القادمة إلى أن يلجؤوا مؤقتاً لمناطق أخرى ريثما يتوضح الوضع. وبما أن هذا العدد من المهاجرين كان رغم قلته يشمل نخبة البلاد، فإن هذه الموجة الأولى من المهاجرين تركت آثاراً خطيرة جداً على المجتمع الفلسطيني، منها بطء الفعالية الاقتصادية، وشبه شلل الاتصالات والإدارة، وفقدان الإطار السياسي في مناطق عديدة جداً. وبين أيار وتشرين أول ١٩٤٨، دفعت الحرب العربية الإسرائيلية بأكثر من ٨٠٠ ألف شخص على طرق المنفى، معظمهم من الفلاحين. وفي عام ١٩٤٩، فُرّغت فلسطين من ٩٠٪ من سكانها الذين كان عددهم، مسيحيين ومسلمين، يتجاوزون المليون نسمة.

في تلك الحقبة، قدّر القادة الصهاينة بأن الدول العربية المجاورة، لديها الإمكانيات لاستيعاب اللاجئين في أراضيها. وقد ناضلوا بشكل خاص لصالح توطينهم في العراق أولاً، وفي سوريا بالدرجة الثانية، بسبب حجم موارد هذين البلدين. وفي الحقيقة فإن الفلسطينيين توجهوا إما إلى المناطق الأكثر قرباً من قراهم الأصلية أو إلى المناطق التي يوجد فيها أقارب أو معارف لهم. وللمفارقة فإن أفقر دول المنطقة، وهي مملكة الأردن الصغيرة، هي التي شهدت وصول أكبر عدد من اللاجئين إلى أراضيها (٥٠٠ ألف تقريباً بين عامي ١٩٤٧-١٩٤٩). واستقبل كلٌ من لبنان وسوريا ١٠٠ ألف لاجئ. أما العراق، فقد استقبل أقل من خمسة آلاف لاجئ، بينما لم تستقبل دول الخليج أياً من اللاجئين تقريباً. وغداة نهاية الحرب العالمية الإسرائيلية الأولى وإعلان دولة إسرائيل لم يتبق في فلسطين إلا حوالي ١٥٠ ألفاً من السكان العرب، وتفكك المجتمع الفلسطيني بعدما فقد ما يربطه بالأرض.

تضافرت جهود الدول المضيفة والمنظمات الإنسانية والأمم المتحدة (التي أنشأت عام ١٩٤٩ وكالة خاصة للاجئين الفلسطينيين في الشرق الأدنى ودعيت هذه الوكالة بالأونروا) لتقديم الغوث والغذاء والخيم والملابس. وعلى الرغم من بعض التوترات بين جمهور اللاجئين وبين سكان المناطق التي حضروا إليها والناتجة بشكل أساسي عن العدد الكبير للاجئين وعن الطابع القاسي لهذا اللجوء، فإن شعوب هذه المناطق قد برهنت عموماً عن تضامن واسع نوعاً ما مع هؤلاء الرجال والنسوة المنهكين والمجرّدين من ممتلكاتهم. وكان لبنان وحده، وهو القريب جداً، من عبّر فوراً عن تحفظات بسبب خوفه على توازنه الديمغرافي (السكاني) والمذهبي الهش.

وبدا بسرعة كبيرة بأن مشكلة اللاجئين الفلسطينيين ستصبح دائمة. فمن جهة، لم تقبل إسرائيل التي أصبحت قوية بفضل انتصارها على الجيوش العربية بالنظر في عودتهم بأية حال من الأحوال. ومن جهة أخرى، قدّرت الدول العربية بأن إدماجهم ضمن مجتمعاتها سيقدم مساعدة لإسرائيل. وضمن هذا السياق المسدود بشكل كامل والمتميز الصعوبة على الصعيدين الإنساني والسياسي، فإن اللاجئين بدؤوا ينظمون أنفسهم. فأصبحت المخيمات التي ظهرت منذ عام ١٩٤٩ مساحاتٍ اجتماعية جديدة ونوعاً من المناطق المغلقة المتوضعة بالقرب من المناطق المدينية. ورغم استبدال الخيم بمنازل من الطوب تزيد طابقاً كلما ازدادت الأسرة حجماً.. وذلك فقط إذا سمحت بذلك حكومة الدولة المضيفة.

وعلى الرغم من القرار الجماعي الذي اتخذته الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية بعدم إدماج اللاجئين الفلسطينيين، اتخذت كل حكومةٍ إجراءات مختلفة عن الحكومات الأخرى. فقررت المملكة الأردنية الهاشمية مثلاً منحهم الجنسية الأردنية وأن تجعلهم مواطنين بكامل حقوق المواطنية (نظرياً على الأقل). أما سوريا فقد أعطتهم معظم حقوق مواطنيها، عدا الجنسية السورية، بينما يحتجزهم لبنان ضمن شروط قانونية أدنى وظروف صعبة (مع وجود فترة تحسن قصيرة بين عامي ١٩٧٠ و١٩٨٢، وهي الفترة التي تواجدت فيها قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان).

بقي معظم اللاجئين إذن في بلد لجوئهم الأول واستمروا بوضعية اللاجئين التي ترمز لها القسائم الشهرية التموينية التي يحصلون بموجبها على السكر والرز والطحين. واستطاع البعض الهروب من وضعهم بالهجرة نحو دول الخليج التي كانت نوعاً من أرض النعيم والتي كانت قد باشرت حينذاك بالدخول في مشاريع بناء ضخمة، تطلبت وجود اليد العاملة بأعداد كبيرة وكذلك إداريين مؤهلين، وكلا الفئتين موجودتان بين الفلسطينيين. وهاجر البعض الآخر إلى مناطق أبعد مثل أمريكا الشمالية وأمريكا اللاتينية وأوروبا وحتى أوستراليا. وهكذا، نشأ مجتمع فلسطيني في المنفى بدأت بنياته الإجتماعية التقليدية بالإختفاء شيئاً فشيئاً، وانبثقت برجوازية جديدة مؤلفة من التكنوقراط، ورجال الأعمال الذين يمتلك بعضهم ثروات ضخمة ويعملون على المستوى الإقليمي، بل والعالمي أحياناً. وظهر في الدول الغربية أساتذة جامعات وأطباء وفنانون معروفون. وهؤلاء، رغم كونهم لايشكلون سوى أقلية، يجسدون، بالنسبة للفلسطينيين، إمكانية أن يترعرعوا بعيداً عن بلدهم.

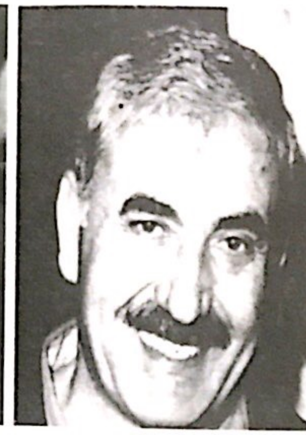
لكن هذا التطور يبقى متوقفاً على شروط هامة، وخاصة ضمان الحقوق الدنيا كي لايعود التأقلم والإندماج ضمن البلد المضيف مهدَدين. ويشهد على ذلك مصير ٣٠٠ ألف من الفلسطينيين كانوا قد هاجروا إلى الكويت بدء من الخمسينات وساهموا بشكل واسع في بناء هذه الدولة الصغيرة. فأثناء غزو العراق لهذه الإمارة عام ١٩٩١، اتُهم معظم الفلسطينيين بالتعاطف مع العراق وطُردوا بقسوة من البلد، فوجدت هذه الجالية التي كانت تشكل قطباً ثرياً للشتات وأحد دعاماتها نفسها بين يوم وآخر بوضعية اللاجئين.

الفلسطينيون مبعثرون ومتناثرون من الناحية الجغرافية، لكنهم ينظرون لأنفسهم كشعب واحد. وقد خلقوا بين بعضهم روابط وهويةً تشترك بالذكريات التي يشكّلها ضياع أرضهم، وتجربة استئصال الجذور، والمنفى. وهم، أينما كانوا ومهما كانت ظروف حياتهم، ينظرون جميعهم باتجاه بلدهم الأصلي. والناجحون منهم يريدون المساهمة في إنشاء الدولة الفلسطينية دون أن يأتوا مع ذلك ليستقروا فيها. ينبغي أن يكون للاجئين الذين يستمرون في العيش ما بين الفاقة وعدم الاستقرار في الأردن وسوريا، وخاصة في لبنان، إمكانية الاختيار بين العودة إلى دولة فلسطينية أو الإندماج في البلد المضيف. وفي لبنان، يخشى الفلسطينيون في أي وقت أن يجدوا أنفسهم متورطين في المشاكل المعقدة للسياسة الداخلية.

ففي هذا البلد الذي يتعايش فيه المسيحيون والسنة والشيعة والدروز، فإن الاعتبارات هي اعتبارات توازن طائفي. وفي الأردن الذي يشكل فيه الفلسطينيون أغلبية سكانية فإن هوية الدولة نفسها موضع جدال. أما في سوريا التي اندمج فيها اللاجئون على الأصعدة الاقتصادية والاجتماعية، فإن المشاغل سياسية وتعود لطبيعة السلطة ولمتطلباتها الخاصة التي تتعلق بإبرام سلام مع إسرائيل. وأخيراً، في الأنظمة الخليجية فإن الأسس ذاتها للأنظمة السياسية التي أسست على الولاءات القبلية هي التي تشكل العقبة، وإذا كانت المسألة الفلسطينية مسألة سياسية بارزة، فإن مسألة اللاجئين تشكل بُعدها الإنساني الأكثر إيلاماً، وفي النهاية الأكثر أهمية.

بسمة قضماني درويش
أستاذة محاضرة في جامعة السوربون وجامعة مارن لافالي - مسؤولة برنامج للتعاون الدولي في مؤسسة فورد بالقاهرة

وفد من الجبهة الشعبية يلتقي السيد عبد الحليم خدام




استقبل السيد عبد الحليم خدام نائب رئيس الجمهورية العربية السورية ظهر اليوم وفداً من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين برئاسة الدكتور جورج حبش وحضر اللقاء الرفاق: أبو علي مصطفى نائب الأمين العام وأبو أحمد فؤاد وماهر الطاهر عضوي المكتب السياسي.

دار البحث حول التطورات السياسية على الساحتين الفلسطينية والعربية خاصة علىضوء نتائج الانتخابات الإسرائيلية.

وقد ثمن الدكتور حبش موقف سوريا الصامد في مواجهة التحديات وتمسكها بالحقوق الوطنية والقومية.

ومن جانبه أكد السيد عبد الحليم خدام دعم سوريا الثابت لنضال الشعب الفلسطيني واستمرار كفاحه لإنتزاع كامل حقوقه الوطنية وفي مقدمتها حق العودة للاجئين الفلسطينيين وتقرير المصير وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس.

وقد أكد الجانبان على أهمية التضامن العربي للنهوض بالموقف العربي لمواجهة التحديات التي تواجه الأمة العربية.

المكتب الصحفي ١٩٩٩/٦/١٣

وفد من الجبهة الشعبية يلتقي بوفد أسترالي

التقى وفد من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ضم الرفاق ابو علي مصطفى نائب الأمين العام والرفيق أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي ومسؤول الدائرة السياسية والرفيق أبو خليل عضو قيادة الدائرة السياسية بوفد ضم: السيد ديفيو هنسي مسؤول ـ قسم الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأسترالية، والسيد ديفيد ايليس سكرتير أول وقنصل السفارة في دمشق.

وجرى في اللقاء تبادل وجهات النظر حول الانتخابات «الإسرائيلية» ونتائجها وتوجهات باراك السياسية المستقبلية في الاتجاه التفاوضي العربي أو التفاوضي الفلسطيني ومدى انعكاس هذه السياسة على الساحة الفلسطينية والعربية من خلال رؤيتنا كجبهة وتطرق الحديث أيضاً الى سياسة المكيالين الأمريكية تجاه القضايا العربية والدولية وسياسة الغطرسة الإسرائيلية المستمرة تجاه الحقوق العربية الثابتة سواء كان في فلسطين المحتلة أم الجولان أو جنوب لبنان.

المعتقلون السياسيون في سجن جنيد: لن نقبل الظلم... ولن نرضى بالسكوت على اعتقالنا

منذ أيلول ٩٧ ونحن نصبّر أنفسنا بقرب الإفراج والحرية، ونمارس كل الإجراءات الحضارية والسلمية لمواجهة سياسة الإعتقال المفتوح والظالم بحقنا دون تهمة أو محاكمة أو وجه حق، وكان آخرها الإضراب المفتوح عن الطعام الذي استمر ٣٦ يوماً... حيث توصلنا إلى اتفاق واضح يقضي بالإفراج عن المعظم، ولكن (بكل أسف وأسى) لم يفرج إلا عن عدد قليل... واليوم تزداد المعاناة وتستمر المحنة، وها نحن ندخل الشهر الثاني والعشرين، ومازال سجن جنيد في جبل النار يضم أكثر من خمسين معتقلاً من أبناء هذا الشعب المناضل.

إننا في ضوء كل ذلك نعلن للدنيا: لن نرضى بالسكوت ولن نستسلم للظلم، وها نحن نبدأ إجراءات الرد من جديد معتبرين هذه الإجراءات تحذيرية، ومقدمات لما سيأتي حيث نكون قد قدمنا العذر، لكل أبناء شعبنا وحمّلنا المسؤولين عن استمرار هذا الاعتقال المسؤولية أمام الله والشعب والتاريخ، مطالبين الجميع بالتحرك قبل فوات الأوان.

وعليه نعلن عن الفعاليات الأولية التالية:

أولاً: الامتناع عن استقبال الأهالي يوم الإثنين ٦/١٤/ ١٩٩٩م.

ثانياً: دعوة الأهل للاعتصام أمام مقر المحافظة في نابلس في ذات اليوم.

ثالثاً: الإضراب التحذيري عن الطعام يوم الثلاثاء ٦/١٥/ ١٩٩٩م.

اللهم قد بلغنا... اللهم فاشهد

المعتقلون السياسيون - سجن جنيد العسكري - نابلس

تصريح صحفي صادر عن اللجنة الوطنية العليا للمتابعة

عقدت اللجنة الوطنية العليا للمتابعة اجتماعاً صباح اليوم، خصص لمناقشة التطورات التي جرت في لبنان في ضوء الجريمة التي ارتكبت ضد القضاة اللبنانيين من قبل عملاء إسرائيل والتي تستهدف إرباك الدولة اللبنانية وتحقيق أهداف سياسية لأغراضها، ومن ضمنها محاولة إثارة الوضع الفلسطيني بمايخدم مخططات التصفية والتوطين والتهجير.

إننا إزاء هذه الأحداث يهمنا أن نؤكد على ما يلي:

١ـ دعم كافة الإجراءات من قبل الدولة اللبنانية لكشف أبعاد المخطط المعادي الذي يستهدف أمن لبنان وسوريا والفلسطينيين على الساحة اللبنانية، ودعم كل الخطوات لكشف منفذي جريمة صيدا والجرائم الأخرى ومثولهم أمام القضاء اللبناني.

٢ـ إننا نؤكد موقفنا الثابت بعدم المساس بأمن لبنان ودعم إستقراره ودعم كل الخطوات لانهاء الاحتلال الصهيوني عن الجنوب اللبناني وتنفيذ القرار ٤٢٥ دون قيدأو شرط.

٣ـ مناشدة كافة المسؤولين في الدولة اللبنانية وفي مقدمتهم الرؤساء لحود وبري والحص وكل المخلصين، برعاية جماهير شعبنا في المخيمات واتخاذ كل الخطوات التي من شانها التخفيف من معاناتهم الإنسانية باعتبارهم الداعم والمساند للبنان ولاستقراره وتطوره.

ويهمنا أن نؤكد على وحدة الموقف الوطني والقومي بين لبنان وسوريا والشعب الفلسطيني في لبنان وقواه الوطنية في مواجهة المخططات الإسرائيلية وعملائها.

اللجنة الوطنية العليا للمتابعة
١٩٩٩/٦/٢٠

الشهيد بسام خالد عوض
وداعاً.. في عودتك إلى الناصرة



ودعت الجماهير الفلسطينية يوم الخامس عشر من حزيران وبحضور ممثلي فصائل الثورة الفلسطينية وسفير الجماهيرية العربية الليبية في دمشق وممثلي قيادة القوى الجوية في الجيش العربي الليبي الشهيد العقيد طيار بسام خالد عوض إلى مثواه الأخير في مقبرة الشهداء بمخيم اليرموك.

ولد الشهيد عام ١٩٥٤ في مدينة حمص من أسرة فلسطينية وطنية مناضلة.

حلم بالعودة إلى أرض فلسطين راغباً في الوصول إليها عبر أقصر الطرق.

قرر أن يصبح ضابطاً في سلاح الطيران عبر أحد الجيوش العربية لأنه كان يؤمن إيماناً عميقاً بوحدة الأمة العربية ووحدة مصيرها.

التحق عبر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين - القيادة العامة - بالكلية العسكرية للطيران في الجماهيرية العربية الليبية وتخرج عام ١٩٧٧ برتبة ضابط. وتدرج في سلاح الجو حتى وصل لرتبة عقيد ...، وخاض العديد من معارك الشرف القومية كقائد لأسراب مقاتلة.

التقيته مرات قليلة عندما كان يأتي في إجازة إلى دمشق لزيارة أهله وأصدقائه.

مقاتل عنيد لم يفارقه الأمل والأصرار على تحرير تراب وطنه رغم كل الظروف والشدائد والتراجع والمحن.

يمتلئ بالرجولة والعنفوان والتحدي.

فلسطين بالنسبة إليه عكا وحيفا والناصرة ويافا واللد وغزة ورام الله وكل حبة رمل من الأرض التي عشقها وناضل في سبيل الرجوع إليها.

أحبه الجميع، كل من عرفه من أصدقائه وزملائه.

لاتفارقه البسمة والتفاؤل والثقة لتحقيق أهداف شعبه وأمته.

تحية لك أيها الفارس وعهداً على مواصلة الطريق.

د. ماهر الطاهر

حفل فني بمناسبة يوم الطفل العالمي
في نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال بحلب



بمناسبة يوم الطفل العالمي أقام نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال في حلب حفلاً فنياً احتفالاً بهذه المناسبة في ١٩٩٩/٦/١، حضره حشد كبير من الأطفال.

وقد بدأ الحفل بكلمة ألقاها الرفيق مدير النادي رحب بها بالحضور مباركاً لهم هذه المناسبة العزيزة متحدثاً عن معاني ودلالات هذه المناسبة ودور الأطفال وأهميتهم والمهام الملقاة على عاتقهم بوصفهم جيل المستقبل الواعد حامل راية النضال والتحرير مستذكراً بطولات وتضحيات أطفال الحجارة وما قدموه من أمثلة رائعة في النضال فقدموا الشهداء والجرحى والمعتقلين. وأضاف الرفيق إلى أنه لا يمكن الحديث عن دور الطفولة دون الحديث عن دور المؤسسات العاملة في مجال الطفولة التي تساهم في توعية الأطفال ورفع مستواهم الفكري والعلمي وتنمي مواهبهم بشكل خلاق وفاعل وتهيئهم للدخول بالحياة بشكل علمي ومدروس وسليم.

ثم تطرق الرفيق مدير النادي للحديث عن تجربة نادي الشهيد غسان كنفاني في حلب ومجالات عمل هذا النادي والدور الذي يقوم به، مستخلصاً النتائج التي استطاع هذا النادي تحقيقها حتى لآن، ومتحدثاً عن أهدافه المستقبلية التي يسعى إلى تحقيقها.

ثم قدمت فرقة النادي فقرات من الدبكات التراثية والرقصات الايقاعية والأغاني الوطنية إضافة إلى الفقرات المسرحية مما دفع إلى تشجيع جمهور الحضور إلى المساهمة في تقديم ما لديهم من مواهب.

ويشار هنا إلى أن نادي الشهيد غسان كنفاني للأطفال في حلب قد بدأ بمرحلته الصيفية بعد انتهاء المدارس ويتوزع نشاط النادي بين المادة التعليمية والمادة الترفيهية إضافة إلى تنمية مواهب الأطفال من خلال أخصائيين يشرفون على هذه العملية إضافة إلى نشاطاته الاجتماعية الأخرى ■■

بمناسبة الذكرى السابعة والعشرين لاستشهاد المناضل غسان كنفاني والذكرى الثلاثين لتأسيس مجلة «الهدف»

تتشرف دائرة الثقافة والاعلام في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بدعوتكم لحضور ندوة ثقافية يتحدث فيها:

د. أنيس صايغ
مفكر فلسطيني

د. صابر فلحوط
رئيس اتحاد الصحفيين في سوريا
نائب رئيس اتحاد الصحفيين العرب

الرفيق أبو علي مصطفى
نائب الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

وذلك في تمام الساعة السابعة مساء يوم الاربعاء الموافق ١٩٩٩/٧/٧م
في قاعة الشهيد غسان كنفاني في مخيم اليرموك/ مدارس/ خلف مدرسة المنصورة

«الدعوة عامة»

جمهورية فلسطين.. منذ متى..؟!

فيروز الناجي

«لما كنا، نحن الفلسطينيين نمثل شعباً واصل العيش باستمرار في وطنه ألف سنة جيلاً بعد جيل.. ولما كانت دولة إسرائيل قد جاءت إلى الوجود ونمت، وازدهرت، وتمكن الشعب اليهودي بالتصنيع من خلق وجود أمة ضمن حدودنا القديمة لايمكن إنكاره، ويجدر الإعتراف به، ولما كان الأمس الذي لحق بنا من فقدان قسم كبير من وطننا لايبرر عقلياً الحكم على هذا الجيل وأجيال قادمة.. للعيش بصراع عنيف لانهاية له لتصحيح الخطأ.. ولما كنا نرغب في أن نمنح شعبنا وشعب إسرائيل بركات السلام الآن وفي المستقبل... نعلن ها هنا والآن البيان التالي لجميع الفلسطينيين، وللأمة الإسرائيلية، ولشعوب العالم».

هذا ما قالته وثيقة أمريكية اسرائيلية بعنوان «إعلان عن تأسيس جمهورية فلسطين»*، كانت قد نشرت في عام ١٩٦٩، وكانت قد أعدت لحل الصراع الإسرائيلي العربي، عن طريق تأسيس دولة فلسطينية وفق المصلحة الأمريكية والإسرائيلية في المنطقة العربية، وكان لابد من التوقف أمامها الآن، لعدة أسباب، أهمها لنتذكر بأن وثيقة تحمل مشروع دولة بمواصفات معينة سندرجها بعض قليل، رُفضت وفشلت عام ١٩٦٩، أعادت إحياءه وللأسف أيد فلسطينية، ولو بأسلوب آخر ولكنه في المحصلة لم يقدم للفلسطينيين أي شيء سوى ضياع الحقوق، ويتم السعي الآن لضياع حتى ما أقرته الشرعية الدولية، وربما ما تقدمه السلطة الفلسطينية الآن بشروط أفضل من شروط تلك الوثيقة، يقدم للإسرائيليين أكثر مما حلموا، ومما طرح في تلك الوثيقة حيث تنص على تسع مواد، وقد ذيلت بمكان لخمسة تواقيع من الوجهاء ورؤساء البلديات في الضفة الغربية وغزة، وكان من المفترض أنه بعد التوقيع من قبل هؤلاء الذين سيوقعون بمعزل عن بعضهم، لأن صانعو الوثيقة كانوا يريدون إرسال نسخة لكل منهم دون علم الآخر، وهكذا تؤخذ الوثائق الموقعة وتقدم من قبل أمريكا إلى الأمم المتحدة كإعلان من الفلسطينيين وإلى مجلس الأمن والإسرائيليين، ويبدو حينها طلباً من قادة الشعب الفلسطيني، كم كان ومازال الأمريكيون والإسرائيليون يستخفون بعقولنا وبنا.. فقد كانت مواد الوثيقة كما يلي:

المادة الأولى: «نحن الموقعين أدناه نعلن ها هنا أننا نشكل ونعين أنفسنا حكومة مؤقتة لجمهورية فلسطين المستقلة، على أن نخدم لمدة سنة واحدة أو حتى الوقت الذي تستطيع فيه أجهزة الدولة أن تنظم وتجري انتخابات نظامية».

الثانية: «نعلن أن الحدود الإقليمية لجمهورية فلسطين هي تلك التي تأسست في قرار التقسيم الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٧، ونقبل بهذه الحدود كحدود نهائية وغير قابلة للتعديل، ونتعهد باحترام هذه الحدود».

الثالثة: «كدليل على رغبتنا في العيش بسلام نعلن أن سياستنا وإرادتنا اليوم وفي المستقبل لن تتجه إلى تحصين حدودنا مع دولة إسرائيلية، بل إلى إقامة تسهيلات على تلك الحدود تتطلبها عادة شؤون المواصلات والجمارك».

الرابعة: «نعلن أن سياستنا وإرادتنا هي الانشئ قوة عسكرية ولكن قوة شرطة فقط لحاجات مدنية، وبالتالي نتجنب أدوات وإمكانيات الحرب، ونؤكد هنا على رغبتنا في العيش بسلام مع جيراننا والعالم».

أين الفرق بين هاتين المادتين وما حققته السلطة الفلسطينية؟!

الخامسة: «سيحق لكل مواطن في الجمهورية الفلسطينية بالإقتراع في الانتخابات الوطنية. ومبدئياً يمكن الحصول على المواطنية في الجمهورية: ١ـ وُلِد داخل منطقة الإنتداب. أو سكن داخل الحدود الإقليمية في أي وقت منذ ١٩٤٥. ٢ـ «تقديم طلب للحصول على الجنسية، مع العلم أنه لن يجري حصر المواطنية باولئك الذين ينحدرون من جنس عربي، بل ستكون متاحة للجميع بما في ذلك المنحدرون من عنصر يهودي».

السادسة: «نعبر هنا عن امتنان دولتنا الحديثة للوطنين الفلسطينيين، الأحياء منهم والأموات، ولأصدقائنا وأشقائنا المخلصين في ج.ع.م. والأردن ولبنان وسورية والعراق، وكل هؤلاء الذين ناضلوا طويلاً وبشجاعة من أجل قضيتنا، لقد شاركوا في بقائنا المادي بصورة لن يكون بوسعنا مجازاتها، واغنت دماؤهم ترابنا عبر الزمن، إن صلات الصداقة، وحتماً الحب، ستوحدنا دائماً مع أشقائنا بالدم والذين سنعيش معهم إلى الأبد بسلام، ولكن حان الوقت اليوم لوضع حد للعنف والموت ـ من أجلنا ومن أجلهم ومن أجل هؤلاء الذين صارعناهم طويلاً من أجل وطننا (أي الإسرائيليين)، ونطلب من أشقائنا مشاركتنا في إيقاف كل أنواع العداء، وبالإستجابة إلى طلبنا هذا يساعدون دولتنا الحديثة، ويعجلون في قدوم اليوم الذي نستطيع فيه النمو والوقوف بكبرياء بين أمم الأرض، ونحثهم على مدّ يد الصداقة ـ كما نفعل نحن ـ نحو هؤلاء الذين كنا في حالة حرب ضدهم لفترة طويلة ونطلب بأن يسمح لدولة إسرائيل بالعبور بسلام نحو طرق التجارة الدولية».

وهذا ملخص الهدف من المؤتمرات الإقتصادية في المنطقة والتي كان آخرها مؤتمر الدوحة.

المادة السابعة: «ندعو الأمم المتحدة لتنفيذ حصتنا من قرار التقسيم (١٩٤٧) لنفي بوعدها، وتستخدم نفوذها لتحقق لنا القدرة على الوصول، وتحقيق سيادتنا على المنطقة التي منحت لنا، وذلك بسرعة ودون نقاش، والآن، وبعد أن وضعنا أنفسنا بطريقة سلمية تحت إرادة الأمم المتحدة، نطالب بأن تمنحنا الحماية»!

المادة الثامنة: «ندعو الأمم المتحدة إلى منحنا المساعدة المادية الكبيرة التي سنحتاجها لبناء الاقتصاد المزدهر والمستقل الذي تتمناه دولتنا».

المادة التاسعة: «ندعو دولة إسرائيل، التي استولت على أرضنا دون موافقتنا، إلى الاعتراف بأنها مدينة لنا معنوياً ومادياً، ونطلب إليها كتعويض جزئي أن تقدم لنا المساعدات المالية والتكنولوجية التي نحتاجها لبناء دولتنا الجديدة».

إن محتويات هذه الوثيقة ليست جديدة ولا قديمة بل هي في صلب المشروع الصهيوني منذ البدايات، ومع هذا لم يتمكن الطرف الفلسطيني وحتى الآن من الانتباه لها..

إنما ذكرها الآن.. هو بمثابة دعوة لكل من يهمه معرفة ما يحدث بشكل حقيقي.. لأن يعيد قراءة التاريخ ثانيةً.. فالمهمة الأساسية الآن هي بناء جيل يجيد القراءة ويستطيع التحليل والمحاكمة المنطقية والعقلية لكل حدث ■■

(*) نص الوثيقة نشر في «الهدف» بتاريخ ١١/١٢ تشرين الأول ١٩٦٩.

قراءة مغايرة لنتائج انتخابات الكنيست الصهيوني

عفيف سالم/الوطن المحتل

يسعى العديد من المراقبين السياسيين، العرب منهم خاصة، لدى تحليلهم لنتائج انتخابات الكنيست الصهيوني في ١٧ أيار (مايو)، إلى احتجاز هذه النتائج في مقولتين أساسيتين أو معادلتين.

تقول المعادلة الأولى لدى هؤلاء أن تلك الإنتخابات كانت انتصاراً لقوى «اليسار» بزعامة أيهود باراك، وهزيمة نكراء لبنيامين نتنياهو، ويستنتجون من هذه المعادلة أن القوى المحبة للسلام والموافقة على المسيرة السلمية وتنفيذ المصالحة التاريخية للنزاع الإسرائيلي العربي انتصرت على قوى أرض إسرائيل الكاملة اليمينية والمتطرفة.

أما المعادلة الثانية فتقول، وفق أولئك المراقبين والمحللين السياسيين، أن القوى العلمانية في «الدولة العبرية» قد استيقظت أخيراً، وردت في هذه الإنتخابات على الأحزاب الدينية السياسية اليهودية وابتزازاتها مثل حركة «شاس» بزعامة آرييه درعي. وأن هذه الحركة ستؤتي ثمارها مستقبلاً.

وقبل أن نتقدم باتجاه فحص مدى المنطق في هاتين المعادلتين وبالتالي قربهما من الحقيقة، لابد من الإشارة إلى أن الكثير من المراقبين والمحللين العرب، الذين حضروا بالعشرات إلى «الدولة العبرية» لتغطية هذه الإنتخابات وقعوا في الخطأ التاريخي، الذي يقع به كل مراقب مجند لجهة ما أو لتوجه ما.. أي إحلال الرغبة والأمل مكان الواقع والصورة الحقيقية، المدعمة بالأرقام. هذا إضافة إلى أن حجيج هذه الطواقم إلى «الدولة العبرية» لتغطية الانتخابات البرلمانية فيها، وبث ذلك لنا حياً من خلال العديد من شبكات التلفزة العربية أضفى الشرعية والمصداقية على المقولة الصهيونية والإمبريالية الشائخة، إن إسرائيل هي واحة الديمقراطية في الشرق الأوسط «المتوحش» من ناحية وأنها تشكل «المحور الأساس، الذي تدور في فلكه كل التطورات في هذه المنطقة».. من ناحية أخرى.

منطق المعادلة الأولى

بعد هذا الإحتراز، الذي لامس الحقيقة، إن لم يكن قد تفاعل مع صلبها، نلاحظ أن منطق المعادلة الأولى أعلاه تعتبر الحركة الصهيونية حركة سياسية طبيعية تعبر عن آمال وأحلام شعب وحقه في تقرير مصيره، حتى وإن كان هذا الشعب هو أبناء طوائف دينية منتشرة في أصقاع الأرض، لاتربطهم ببعضهم البعض لا الثقافة ولا التاريخ ولا التراث. بل يربطهم الإيمان بالديانة اليهودية وبأنهم «شعب الله المختار العائد إلى الأرض الآمنة التي تدر لبناً وعسلاً» وهي «الأرض التي وعدهم الله بها».. أي بكلمات أخرى أن هذا الأساس السلفي الغيبي والدين السياسي لايمكنه أن يفرز حركة سياسية طبيعية، بل بإمكانه أن يفرز حركة يمينية عنصرية معادية لكل محيط تنشأ فيه على اعتبار أفرادها الأس والأساس فيما تشكل الشعوب الأخرى مجموعة من الأغيار.

هذا هو المنطق لجميع الأحزاب الصهيونية، ولأحزاب الدين السياسي في «الدولة العبرية». ومن هنا فإن جميع هذه الأحزاب لاتخرج عن تعريف الأحزاب اليمينية الأصولية السياسية والأصولية الدينية. ومن هنا فإن الحديث عن وجود أجنحة يمينية ووسطية ويسارية في إطار الحركة الصهيونية يجب أن يخضع إلى النظرية النسبية. أي أن موقف «ميرتس» بزعامة يوسي سريد قياساً بمواقف «الإتحاد القومي» بزعامة بني بيغن، هي مواقف «يسارية». وإن كانت مواقف «ميرتس» لاتتعدى وفق المنطق الطبيعي للامور أحكام «يسار الوسط»، إذا ما تمت مقارنة مواقفها مع مواقف الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة، العربية - اليهودية مثلاً.

كذلك فإن الموقف من مسيرة اوسلو، وتسوية النزاع العربي - الإسرائيلي، لايمكنه أن يشكل لوحده الميزان أو البارومتر يسارية أو يمينية لهذا الحزب الصهيوني أو ذاك، بل هناك العديد من الموازين الأخرى فالموقف الإجتماعي الإقتصادي، والموقف من نظام الحكم وأنظمته، وكيفية التعامل مع المرأة وما هي حقوقها وكذا وجهة التطور الإقتصادي والموقف من الحرب العادلة والحرب العدوانية إلى الموقف من نتائج مثل هكذا حرب وغيرها وغيرها..

كل هذه المبادئ والمواقف اختفت بقدرة قادر من أحكام المحللين السياسيين لدى تناولهم نتائج الإنتخابات الأخيرة في الدولة العبرية، كما إن هؤلاء المحللين والمراقبين تجاهلوا وبصورة مريعة، إقدام أيهود باراك على تشكيل حركة سياسية فوق حزبية تضم في صفوفها وتحت سيطرتها حزب العمل وحركة «غيشر» بزعامة دايفيد ليفي ذي الجذور الليكودية اليمينية العلمانية وحركة «ميماد» الدينية، وهي حركة «يسرائيل إيحات» أي «إسرائيل الموحدة».. وطبعاً لايمكن إطلاق صفة اليسار على مثل هذه الحركة، فهي أقرب إلى «يمين الوسط» منها إلى «يسار الوسط» حتى.

لقد وعى براك أن الجناح اليميني المتطرف العلماني والديني في الحركة الصهيونية



سيرسل بكل سهامه المسمومة ضد «اليسار».. وسيلعب بقضية البقرة المقدسة «الضرورات الأمنية».. ومن هنا ابتعد عن يسار الوسط الصهيوني واقترب من الوسط الصهيوني أكثر. هذا من ناحيته.

أما من الناحية الأخرى فقد جمع من حوله مجموعة كبيرة من الجنرالات في الإحتياط أمثال يوسي بيلد. مؤكداً أن هذا الطاقم من العسكرتاريا سيتولى الإهتمام بوضع توصيات له لحل القضايا الأمنية. ومجلس الخبراء العسكرتاري هذا هو الأقدر من نتنياهو وشارون ورفائيل إيتان على اتخاذ القرارات الأصح في مجال الأمن. وإذا ما أضفنا إلى ذلك استثمار براك التاريخية العسكرية الحافل بالمجازر من فردان وعبوراً بطائرة سابينا وانتهاءً باغتيال خليل الوزير في تونس لتأكدنا من أن حركة «إسرائيل الموحدة» ومؤيديها من الأحزاب الصهيونية الأخرى لايمكنها أن تشكل «يساراً» حتى في ظل معرفتنا لحقيقة الحركة الصهيونية اليمينية وتقسيماتها.

في ضوء كل ما تقدم يطرح السؤال: ما هي القوى التي بإمكان أيهود باراك الإعتماد عليها باستثناء الأعضاء العشرة، المعدودين على الأحزاب العربية؟؟ وما هي قوتها فعلاً؟؟

نظرة أولية إلى برامج الأحزاب الخمسة عشر، التي تمكنت من اجتياز نسبة الحسم، والدخول إلى الكنيست، يمكن القول أن بإمكان أيهود باراك تشكيل قوة من (٥٦) عضواً هي يسرائيل إيحات (٢٦) عضواً ميرتس (١٠) يسرائيل بعلياه بزعامة شيرانسكي (٦) حركة شينوي (التغيير) بزعامة الصحافي اليميني تومي لبيد (٦) حزب الوسط بزعامة اسحق مردخاي (٦) حزب العمال بزعامة رئيس النقابات بيرتس (٢) هذا في الوقت الذي بمقدور أحزاب اليمين المتطرف العلماني والديني تشكيل قوة من الأحزاب التالية: الليكود (١٩) شاس (١٧) المفدال (٥) يهودوت هتوراه (٥) اتحاد اليمين بزعامة بني بيغن المستقبل (٤) وحزب يسرائيل بيتينو «بزعامة أفيغدور ليبرمان» (٤). المجموع (٥٤) مقعداً.

وعليه يسأل السؤال: أين تصاعد قوة اليسار في الدولة العبرية إذن، الذي لاحظه المراقبون والمحللون السياسيون العرب؟ وهل تشير هذه النتائج إلى أن مواطن «الدولة العبرية» قد اختار الإستمرار في نهج أوسلو التسووي فعلاً؟؟ أم أن اقتراعه جاء لأهداف أخرى؟؟

غني عن القول أن وجود اثني عشر حزباً صهيونياً في الكنيست القادمة هو عبارة عن منطقة رمال متحركة لايمكن الإستناد إلى ثباتها بمعنى أن هذه الأحزاب قابلة لتغيير مواقفها وفقاً لحسابات مصالحها. ويستفاد من تصريحات براك الأولى، في أعقاب فوزه بـ ٥٦٪ من أصوات المقترعين لرئاسة الحكومة، وهو الداعي لتشكيل أوسع حكومة ممكنة، إن إمكانية اختراق العديد من الخطوط المعلنة باتجاه اليمين هي إمكانية واقعية وصولاً إلى تشكيل حكومة «وحدة وطنية» يشارك فيها «الليكود» وأحزاب الدين السياسي «كشاس» وغيرها. أي أن القاعدة هلامية قابلة لمزيد من التحركات والتحالفات غير المتوقعة. خاصة وأن القوى المشكلة لمثل هكذا قاعدة تعاني من العديد من التمايزات والمفارقات فيما بينهما.

منطق المعادلة الثانية:

لقد اعتبر بعض المراقبين والمحللين السياسيين حصول حركة ميرتس بزعامة يوسي سريد على (١٠) مقاعد (مقابل ٩ مقاعد في السابق)، وكذلك حصول حركة «شينوي» برئاسة الصحفي طومي (يوسف) لبيد على ستة مقاعد (كان لهذه الحركة مقعد واحد (لبوراز)، بدء يقظة للقوى العلمانية من ناحية وإيذاناً بتعمق الصراع بين اتجاهين العلماني الصهيوني والسلفي المتدين بشقيه المتعصب والأقل تعصباً.

تؤكد نتائج الإنتخابات الأخيرة حقيقة ازدياد عدد نواب الإتجاه الديني السياسي في الكنيست الصهيوني. فقد احتل هذا التوجه في الكنيست السابق (٢٤) مقعداً هي عشرة مقاعد لكل من شاس و«المفدال» و(٤) مقاعد ليهودوت هتوراه. فيما يمثل هذا التوجه الآن ١٧ مقعداً لشاس» و(٥) مقاعد لكل من «المفدال ويهودوت هتوراه» أي بزيادة (٣) مقاعد. هذا في الوقت الذي خسر فيه الحزبان الكبيران العمل والليكود ٢٠ مقعداً (تمتع الليكود بـ (٣٢) مقعداً فنزل إلى (١٩) مقعداً. وتمتع العمل بـ (٣٤) مقعداً فنزل إلى (٢٦) مقعداً). أي بكلمات أخرى أن التوجه العلماني داخل الأحزاب الصهيونية ليس فقط أنه لم ينجح ولم يتقوى، بل أنه فشل أمام التوجه الديني السياسي.

على أنه هنا أيضاً توجد تمايزات اجتماعية وفكرية. فالمعروف مثلاً أن حزب المفدال هو حزب صهيوني متدين. بينما المعروف عن «شاس» و«يهودوت هتوراه» بانهما حزبان غير صهيونيين. وأن اهتمام هذين الحزبين ينصب بالأساس، على وضع المتدينين من أبناء الطوائف الشرقية (شاس أساساً) وبعض الغربيين غير الصهيونيين (يهودوت هتوراه). في حين أن «المفدال» هو حزب صهيوني متدين يؤمن بأرض إسرائيل الكاملة أو ضرورة الإستيطان بعكس الحزبين المتدينين الآخرين.

تجدر هنا الإشارة إلى أن «حزب المفدال»، الديني السياسي، لم يكن في السابق يمثل هذا التطرف اليميني الشوفيني القومي، بل حدث هذا التوجه في أعقاب تحالفه مع حركة «غوش إيمونيم» بزعامة حنان بورات، الذي انشق عن «المفدال» في الإنتخابات الأخيرة وانضم إلى حزب «الوحدة القومية» بزعامة بني بيغن. ومن المعروف عن حزب «المفدال» تاريخياً أنه كان جزءً لايتجزأ من الإئتلاف الحكومي.. ولنذكر في هذا الإطار فقط، وزير الداخلية يوسف بورج اب ووالد عضو الكنيست في «إسرائيل أيحات».

النتيجة الأولية والأخيرة

يتضح مما قيل أعلاه أن الجسم الديمقراطي في التجمع الإستيطاني الصهيوني الإقتلاعي في فلسطين، ومن خلال الإنتخابات البرلمانية لم يتم بالنسبة القاطعة، بل تم بالتفوق النسبي الضئيل، وذلك سواء في انتخابات البرلمان، أم في انتخابات رئاسة الحكومة. هذا إذا ما اعتبرنا الأصوات العربية خارج الجسم الديمقراطي الصهيوني. وعنده تصبح الصورة كالتالي ايهود باراك (٥٢٪) بنيامين نتنياهو (٤٤٪) والأصوات العربية (٤٪) والتي صبت من أجل إنجاح أيهود باراك.

قراءة أولية لنتائج انتخابات رئاسة الحكومة حتى إذا ما زدنا ١٪ إلى بنيامين نتنياهو الأمر الذي ينقص النسبة ذاتها من الأصوات المؤيدة لباراك فإننا نلاحظ أن باراك حصل على ٥١٪ من أصوات اليهود. أي أنه بهذه الصورة أو تلك ليس بحاجة إلى أصوات العرب الممثلين في الكنيست وأولئك الذين أيدوه على الرغم من أنهم شكلوا الـ ٤٪ من الأصوات الداعمة له، ليشكل معهم إئتلافاً. لا بل بإمكانه الإحتفاظ بهم كاحتياطي مناسب للموقف أو الموقع المناسب أو المطلوب.

يقيناً أنه طالما يعتبر قادة الأحزاب الصهيونية أن الدولة العبرية هي دولة الشعب اليهودي فإنه لامكان للصوت العربي إلا كاحتياط يضفي طابع الديمقراطية على هذه الدولة الإثنية. وفي الوقت الذي يصبح فيه الصوت العربي مقرراً في مستقبل تلك الدولة وذاك النظام سيتم الإلتفاف من حوله وتحجيمه. وهذا ما سيتم حتماً وفعلاً في المستقبل القريب، وفي أعقاب الإنتخابات البرلمانية الأخيرة. وهذه هي الحقيقة التي غابت طول الوقت عن أجهزة الإعلام والأحزاب المشاركة في هذه اللعبة.

خطة باراك المستقبلية

استعرضنا في المقال السابق نتائج انتخابات الكنيست الصهيوني مؤكدين على

أن إبداعات السياسيين والمراقبين العرب هي إدعاءات باطلة لاتستند إلى حقائق موضوعية وأنها جاءت استمراراً لخداع المواطن العربي من ناحية وبهدف تبرير انبطاح الأنظمة العربية من ناحية أخرى.

أشرنا إلى أن النتيجة الأبرز في تلك النتائج كان نجاح يمين الوسط والوسط وعليه فإن لدى باراك إمكانيات عديدة لتشكيل حكومة واسعة من أقصى اليمين إلى يسار الوسط. خاصة وأنه يدعي بأنه يرغب في تشكيل حكومة واسعة تتولى اتخاذ القرارات المصيرية الصعبة، كالإنسحاب من لبنان والتفاوض مع السلطة الفلسطينية ولبنان وسوريا. وقال بأنه رئيس حكومة إلى جميع المواطنين وأنه سيعمل على رأب الصدع الذي حدث بين العلمانيين والمتدينين بين المهاجرين الجدد وبين المهاجرين القدامى وأن اليهود في المحصلة النهائية أخوة والأخوة يسيرون يداً بيد. ولهذا جاءت لاءاته الأربع بخصوص الموقف من القضية الفلسطينية وكذا إعلانه عن اعتزامه عن إجراء استفتاء شعبي بخصوص الإنسحاب من لبنان أو الجولان. والمعروف أن الإستفتاءات الشعبية هي من أقصر الطرق لبناء نظام فاشي عنصري.

معروف تاريخياً مقولة هنيري كيسنجر عن سياسة الدولة العبرية الخارجية. والتي جاء فيها أن لاسياسة خارجية للدولة العبرية، بل سياستها الخارجية هي امتداد لسياستها الداخلية أي بكلمات أخرى أنها خاضعة لإملاءات ومواقف الأحزاب الصهيونية المشاركة في الإئتلاف الحكومي وسلم أولويات ذلك الإئتلاف. وإذا أخذنا بعين الإعتبار أن جميع الأحزاب الصهيونية متفقة فيما بينها على معاداة حق اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى ديارهم وانهم يرفضون حق تقرير المصير للشعب الفلسطيني فإن النقاش بين هذه الأحزاب يصبح من يرغب في إقامة الدولة اليهودية مع أقل عدد ممكن من الأغيار وإن كان في مساحة إقليمية أقل وبين من يرغب في الحفاظ على أرض إسرائيل الكاملة ومهما كان عدد الأغيار فيها.

وعليه لايمكن أن نستبعد إقامة تشكيلة حكومية غريبة عجيبة توحد أكبر عدد ممكن من الأحزاب الصهيونية خاصة وأن نتنياهو بعد فشله كما أعلن أرييه درعي «زعيم حركة شاس» استقالته من عضوية الكنيست فاتحاً بذلك المجال لحركته في المشاركة في الإئتلاف الحكومي. وهذا ما عبر عنه زعيم الحركة الروحي الراب عوفاديا يوسيف حين استذكر وجود حركته في حكومة رابين.

كما إن هناك عاملاً آخر داخلياً خاصاً بعنصرية الأحزاب الصهيونية، والذي لايأخذه المراقبون والمحللون السياسيون العرب بعين الإعتبار، ألا وهو عملية اغتيال اسحق رابين في العام ١٩٩٥ وفشل بيرس في مواجهة نتنياهو بعد سنة واحدة من عملية الإغتيال. لقد تم في حينه إسكات هذه الجريمة من خلال الإدعاء أن أحداً لم يتوقع أن تتم عملية الإغتيال هذه لرئيس حكومة إسرائيلي على يدي يهودي. وأن المهمة الأساس أمام قادة الدولة العبرية وعلماء الإجتماع والسياسة أن يحاولوا جسر الهوة بين الفئات اليهودية المتنافسة فيما بينها على دست السلطة.

ومن هنا، وفي أعقاب فشل نتنياهو في تنفيذ هذه المهمة بشكل مساهمة من خلال الاعيبه في توسيع شقة الخلاف بين أجزاء الصورة الفسيفسائية من جديد. أي بكلمات أخرى أن مهمة باراك هي داخلية في أساسها، ولن تكون سياسته الخارجية متعارضة أو متضاربة مع هذه المهمة الداخلية.

إزاء هذه الصورة يطرح السؤال: ماذا عن الأحزاب العربية الثلاثة الممثلة بعشرة أعضاء في الكنيست الصهيوني؟ وهل فعلاً بإمكان الصوت العربي أن يقرر؟

بداية لابد لنا من الإعتراف أن الخطاب القومي العربي بين جماهير شعبنا في الجليل والمثلث والنقب قد أصيب بضربة قاصمة منذ الدخول في نفق مدريد ووصولاً إلى أوسلو. فهذه الجماهير، التي اعتبرت نفسها وهويتها طول الوقت جزءً لايتجزأ من الشعب العربي الفلسطيني وبالتالي امتداداً للأمة العربية، وجدت نفسها خارج الخارطة كلية. في حين أكد اسحق شامير في حينه على حقوق اليهود في أرض الميعاد. وجاءت اتفاقات أوسلو لتعمّق هذا التجاهل ولتدفع بقسم من القيادات السياسية بصورة أسرع باتجاه الأسرلة. اي بكلمات أخرى ربط مصير المليون فلسطيني في الداخل بمصير الدولة العبرية وبفك الإرتباط مع قضية الشعب الفلسطيني وبات الإنسان الفلسطيني يستمع إلى نغمة أننا نتضامن مع نضال اخوتنا الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين.. وهذه النغمة تعني أن لدينا نحن في الداخل سلم أولويات يختلف قومياً ووطنياً عن سلم أولويات شعبنا، الذي بات له سلطته الخاصة به.

لا أدعي هنا أن هذا النهج وهذا التوجه لم يكن قائماً قبل مدريد أو أوسلو، إلا انه حقيقة كان خطاب مجموعة من السياسيين المرتبطين بالأحزاب الصهيونية في حين انه أصبح بعد أوسلو خطاب أغلبية الأحزاب السياسية العربية. فالحركة الإسلامية لاتؤمن بالحل القومي، بل تؤمن بأن الإسلام هو الحل. ومن هنا فعلينا أن لانستغرب، مثلاً من إعلان «القائمة الموحدة» استعدادها للدخول في ائتلاف حكومي برئاسة باراك إذا ما ضمنت مقعد وزير لأحد أعضائها.. بدعوى إحراز مكاسب عينية للجماهير الفلسطينية في الداخل، كما أنها حين أحرزت مثل هذه المكاسب المشبوهة لدى تصويتها إلى جانب إقرار ميزانية الدولة قبل عدة أشهر، والتي اقتطعت القسم الأكبر في سبيل استمرار الإحتلال والإستيطان والقمع في كل الأراضي الفلسطينية واللبنانية والسورية.

أما كتلة الجبهة الديمقراطية للسلام والمساواة فهي أمينة وأسيرة لتحليلها منذ سنوات الأربعين والقائل بأن إقامة إسرائيل هي تعبير عن حق الشعب اليهودي في تقرير مصيره، وأن المطلوب هو ممارسة الشعب الفلسطيني لحقه هذا. وهذا التحليل والطرح هو القاعدة الأساس، التي بنيت عليها العلاقات ما بين هذه القوة والسلطة الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية. وهي تصب في المحصلة النهائية في شعار: شعبان دولتان.

أما التجمع الوطني الوحدوي، الذي يحاول التعاطي بانتهازية مرعبة مع الخطاب القومي، فقد بز الأوائل والأواخر حين رأيناه يأتلف مع الدكتور أحمد الطيبي. وكل ذلك بهدف الحفاظ على مقعده في الكنيست تنفيذاً لقسم الولاء لإسرائيل الذي أطلقه قبل ثلاثة أعوام أو مايزيد.

والحقيقة أن هذه الأحزاب الثلاثة خرقت جميع الخطوط الحمراء في أثناء انتخابات الكنيست الصهيوني الأخيرة. فجازت لنفسها الأساليب الطائفية والعشائرية وتغييب قضايا الجماهير الحقيقية وحتى الإرادة الجماهيرية وذلك من خلال تبنيها لمشروع جمعية الأهالي الداعي لرفع نسبة المشاركين العرب في هذه الإنتخابات. من ناحية وحجب هذه الأصوات عن الأحزاب الصهيونية.

من ناحية أخرى، لقد حولت جمعية الأهالي التي حصلت على التمويل من صندوق «أبراهام» ومن العديد من الصناديق الأوروبية والأمريكية، الصوت العربي إلى سلعة تباع في سوق النخاسة الإسرائيلي المتصهين. وذلك بمباركة الأحزاب العربية الثلاث وصحفها، التي اقتطعت جزءً من هذه الأموال لصالحها.

رغم كل هذا الهجوم على الناخب العربي، والذي يصب في محصلته النهائية في نهج الأسرلة حتى التصهين، إلا أن دعوة أبناء البلد (من خلال نشرتين هما صوت البلد ونداء البلاد) ومن خلال النقاش مع الناس، حصلت على مبتغاها من مواجهة هذا النهج. إذ دعت أبناء البلد إلى رفض المشاركة في انتخابات الكنيست تصويتاً وترشيحاً، بعكس الجناح المعروف، الذي حاول اقتناص مقعد في الكنيست، وبعد فشله في إحراز ذلك، دعا إلى الإمتناع عن التصويت.

إن رفض المشاركة في انتخابات الكنيست المبدئي والجذري، وكذا قرف المواطن الفلسطيني المسيس والواعي من كل الانهراق والركض والزحف باتجاه المناصب الذاتية والمكاسب الفردية تمظهر في رفض ٣٠٪ من ذوي حق الإقتراع ممارسة حقهم هذا. وهذه الحقيقة الموضوعية هي الحقيقة الأهم حسب راينا ■■

السودان

هل تؤدي الحوارات الجارية بين النظام والمعارضة إلى المصالحة الوطنية..؟

عصام حامد سلامة

شهدت الساحة السودانية أحداثاً متغيرة ومتسارعة من الاتصالات والحوارات، خاصة في الآونة الأخيرة، بين النظام والمعارضة على حدٍ سواء، والتي قد تصل (في حال نجاحها..) إلى مبتغاها في المصالحة الوطنية إن الحرب الأهلية بين الشمال والجنوب أنهكت البلاد مما أدى إلى زيادة حجم المديونية الأجنبية بشكل كارثي والتي بلغت أكثر من عشرين مليار دولار، إضافة، إلى ما يعانيه أصلاً من صعوبات اقتصادية واجتماعية عديدة أهمها تفشي المرض والجوع والفقر بشكل كبير، حيث تؤكد الاحصاءات الرسمية الحكومية بأن نسبة (٩٦٪) من سكان السودان يعيشون تحت خط الفقر؟!

وفي ظل هذه المخاطر والتحديات التي يجابهها السودان بالإضافة إلى العداء السافر له من قبل أمريكا ودول الغرب عموماً، تحت ذريعة دعمه للإرهاب والأصولية الدينية، وأكبر مثال على ذلك ضرب (مصنع الشفاء بالخرطوم العام الماضي ١٩٩٨م)، الأمر الذي يتطلب أكثر من أي وقت مضى ضرورة التعجيل في إنجاز المصالحة الوطنية خدمة لشعب السودان، والتي تبدو ملبدة بالغيوم نتيجة عدم الثقة والتفاوت في المواقف بين النظام والمعارضة رغم كل المساعي التي بذلت وتبذل حتى الآن من كلا الطرفين.

إن اللقاءات والحوارات التي تهدف إلى المصالحة الوطنية ليست وليدة اللحظة، حيث مرّت بعدة منعطفات تراوحت بين المد والجزر بينهما وخاصة في السنوات القليلة الماضية، وأهم هذه المحطات هي:

ـ إعلان نيروبي، الذي صاغته الدول الوسيطة (الإيقاد) عام ١٩٩٤م، بين الحكومة السودانية والحركة الشعبية لتحرير السودان التي يقودها العقيد جون قرنق (الذي توقف ولم يتواصل).

ـ اتفاق السلام، الذي وافقت عليه الحكومة ووقعته مع (٧) فصائل جنوبية مسلحة في نيسان (ابريل) ١٩٩٧م، باستثناء الطرف الرئيسي في الجنوب بزعامة جون قرنق.

ـ لقاء جنيف، (بداية مايو) ١٩٩٩م الماضي، بين رئيس البرلمان السوداني الدكتور حسن الترابي، وزعيم حزب الأمة المعارض الصادق المهدي والذي وصف بانه جزء من الحوار السياسي بين النظام والمعارضة السودانية.

وأبرز هذه المحطات لقاء جنيف الأخير بين المهدي والترابي والذي تتواصل المساعي والوساطات العربية (المصرية والليبية) على أساسه واستكمالاً له، خاصة بعد تحسن العلاقات بين مصر والسودان في الفترة الأخيرة، حيث شهدت العلاقات بين السودان وجيرانه تحسناً ملحوظاً، وبدأ في إعادة العلاقات مع ارتيريا بداية شهر مايو ٩٩م في اللقاء الذي تم بين الرئيسين (البشير والورقي) في الدوحة، واتفاقهما على عودة العلاقات الدبلوماسية إلى سابق عهدها، وكذلك لقاء القمة الذي عقد بين الرئيس السوداني والرئيس الأثيوبي في جيبوتي.

كما بدأ السودان مؤخراً بتحسين علاقاته مع بعض الدول الأوروبية وخاصة فرنسا، وكذلك قطع خطوات جادة مع بريطانيا مؤخراً على طريق إعادة العلاقات بينهما لاحقاً. هذه الخطوات الدبلوماسية أكسبت النظام السوداني أوراق قوة وأعطته مكانة هامة بعد أن كان يعاني من عزلة إقليمية لفترة من الزمن.

وقد أثارت مسالة المؤتمر الوطني للحوار مع المعارضة الذي تبنته الحكومة السودانية بديلا للمؤتمر الدستوري، ردود أفعال واسعة وسط فعاليات المعارضة الداخلية وأحزاب التوالي المتحالفة مع النظام، وكذلك المعارضة الخارجية المتآلفة في التجمع الوطني الديمقراطي الذي يتزعمه محمد عثمان الميرغني على وجه الخصوص وشخصيات قومية أخرى.

وعكست اجتماعات قادة المعارضة التي عقدت في أسمرا بتاريخ ١٠ حزيران ١٩٩٩م الماضي خلافاً بشأن المصالحة مع الحكومة على رغم اتفاق القوى الرئيسية الثلاث على مبدأ الحل السلمي للقضية السودانية، لكن رئيس التجمع الوطني محمد الميرغني أبدى تشدداً في شروط الحوار أما زعيم الجيش الشعبي العقيد جون قرنق، فمال إلى التشكيك في صدقية الخرطوم.

وجاء في البيان الختامي لاجتماع أسمرا التأكيد على ضرورة «إزالة الحكم الديكتاتوري وتجميد مواد الدستور التي تقيد الحريات العامة، واستعادة الديمقراطية والقانون، وإطلاق سراح المعتقلين السياسيين، وإعادة بناء الدولة على أسس دولة لامركزية مع ضمان التوزيع العادل للثروة والتعدد الديني والإثني والثقافي». وأكد التجمع بأن مثل هذه الخطوات ضرورية لخلق مناخ ملائم للحوار.

يتضح مما جاء في البيان الختامي لاجتماع فصائل المعارضة في أسمرا أن الهوة لاتزال واسعة ما بين النظام والمعارضة، مما يقلل من إمكانية النجاح في عقد مؤتمر المصالحة الوطنية في المدى المنظور على الاقل.

وتأتي عودة الرئيس السوداني الأسبق جعفر النميري إلى السودان في الثاني والعشرين من حزيران الماضي بعد ان أمضى (١٤) عاماً في المنفى الاختياري له في القاهرة، حيث منح اللجوء السياسي في مصر آنذاك، لتمنح حكومة البشير دعماً سياسياً ومعنوياً، لكنها في نفس الوقت اثارت غضب بعض أوساط المعارضة الناقمة على فترة حكم النميري والتي وصفته بالمستبد المخلوع، وقد اتهم النميري في السابق بالفساد وبالتطبيع مع العدو الصهيوني والوقوف إلى جانب السادات وتسهيل تصدير يهود الفلاشا إلى إسرائيل، مما يجعل هذه الخطوة من قبل النظام الحاكم في السودان وقبل عقد مؤتمر المصالحة الوطنية أمراً يثير الريبة والشك لدى أوساط المعارضة مما يزيد من شقة الخلاف بين الطرفين.

ويرجع أصل المشكلة السودانية (القديمة الحديثة) في موضوع جنوب السودان والحرب الأهلية الدائرة بين الشمال والجنوب لسنوات طويلة أرهقت الشعب السوداني واستنزفت قدراته المادية والبشرية، وثورات الجنوب المتعددة جميعها غطت كل مراحل العلاقة الدستورية بين الشمال والجنوب، وشهد جنوب السودان العديد من التمردات على نظام الحكم في الشمال كان آخرها التمرد الذي قاده العقيد جون قرنق من عام (١٩٨٣-١٩٩٩م)، أي ما يقارب (٢٧) عاماً من الحروب أما فترات الهدوء بين الفترة الدامية فإنها لم تتجاوز (١٧) عاماً ولم يشكل ذلك الهدوء المتقطع استقراراً في السودان.

وقد طرحت عدة حلول لمشكلة الجنوب طوال المدة الماضية كان أبرزها: الحكم المركزي والفدرالي والكونفيدرالي والإنفصال وحتى الآن لم يتم الاتفاق على أي خيار من هذه الخيارات المطروحة نتيجة تعقد المشكلة وتشابكاتها سواء من النواحي القبلية والإثنية (تعدد الأعراق وتنوعها واختلافها) أو من النواحي السياسية والإجتماعية والإقتصادية.

بالإضافة إلى مشكلة البترول التي فاقمت النزاع بين الشمال والجنوب حول حصة كل منهما ولم يتفق الطرفان على هذا الموضوع حتى الآن رغم وجود اتفاقات عديدة بينهما بهذا الخصوص، وتأتي الفورة النفطية أخيراً في السودان، لتزيد من حدة المشكلة، حيث من المنتظر أن يبدأ إنتاج النفط السوداني قريباً جداً.

تأتي اهمية المصالحة الوطنية في هذه الفترة بالذات بين النظام والمعارضة كون السودان لايزال موضوعاً على قائمة الدول التي ترعى الإرهاب حسب تقرير الخارجية الأمريكية الأخير ولايزال يواجه مخاطر عدوانية جسيمة أبرزها التقسيم والتفتت وأمامه تحديات كبرى من الدول الإمبريالية المعادية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني ومشروع القرار الأخير المقدم للكونغرس الأمريكي لدراسته والذي يدعو فيه إلى إقامة مناطق آمنة في جنوب السودان ويطالب بتسليح المتمردين يكشف بشكل واضح وجلي عن النوايا العدوانية المبيتة ضد السودان.

إن هذه المخاطر التي تنتظر السودان في الفترة القادمة الداخلية منها أو الخارجية تحتم على كل الأشقاء السودانيين سواء في النظام أو المعارضة تحمل مسؤولياتهم التاريخية وضرورة التنبه لهذه المخاطر المحدقة بهم والعمل على حل خلافاتهم الداخلية والإسراع في إنجاز المصالحة الوطنية كي يعود السودان إلى عافيته ويقوم بدوره الوطني والعربي والإفريقي المناط به ■■

بين الجريمتين البشعتين

الفلسطيني في لبنان أيضاً ضحية!

مروان عبد العال

لم يكن كل شيء هادئاً حول المخيمات الفلسطينية في لبنان، قبيل ليلة الرابع والعشرين من حزيران، عندما قامت طائرات العدو، باعتداء وحشي على محطات الكهرباء، والجسور الممتدة على الطريق الجنوبي، للعاصمة بيروت.

كان الاعتداء الجوي، رسالة ثانية بعد تلك التي طاولت القضاء في عاصمة الجنوب «صيدا»، وما بين الرسالتين، لم يكن الأمر طبيعياً في أجواء العلاقة الفلسطينية ـ اللبنانية، حين ازدحمت بالشك، وشُحنت بالتوتر.

الاعتداء على القضاء والاتجاه الخاطئ:

العدوان الوحشي على أنوار العاصمة بيروت، أضاء إشارة صحيحة أكثر مباشرة حول معنى الرسالة واستهدافاتها، ليصوب اتجاه النظر نحو الهدف الصحيح، وليس الاتجاه الخاطئ، كما بدت في الرسالة الأولى عندما بدأت اشارات الاتهام تتجه نحو المخيم، والشعب الفلسطيني بل وتصوير الأمر بأنه اعتداء فلسطيني، على القضاء اللبناني، وكون القضاء يمثل ضمير لبنان، وقلب المجتمع، عليك أن تتخيل بعد ذلك حجم التعبئة والاحتقان والتحريض الذي سيطال أي متهم.

من يقف خلف ثقافة التجزئة؟

نعم، لم يكن كل شيء هادئاً عندما تعلو موجة التحريض ضد الفلسطيني، وتصويره بأنه قاتل وسارق وفار من وجه العدالة، والمخيم جزيرة أمنية خارجة عن القانون والسيادة.

إننا ندرك حقيقة العدو ومسعاه الدائم لتمزيق لبنان، وإن لبنان الموحد، والمتماسك في المسارات والمصير مع سوريا مسالة لاتروق له لذلك يرى أمامه جبهة موحدة مع المقاومة فيريد تفكيكها وبوسائل عدة.

الرسالة واستخدامها الداخلي:

لقد أدركت الحكومة اللبنانية الاستهدافات الأخطر من الحدث نفسه عندما اعتبرت أن أصابع اسرائيلية تقف خلف الجريمة، وإن الاشتباه باي شخص كان حتى وإن كان فلسطينياً، لايعني بأي حال أن الفلسطيني تحت الشبهة. وحذر بيان الحكومة من مغبة استباق التحقيق عبر تذكية روح التناقض بين الشعبين الشقيقين.

إن إدراك العهد الجديد في لبنان لفكرة سياسية صحيحة، تعتبر أن التناقض الرئيسي يجب أن يبقى مع الاحتلال، تم الانفتاح على الفلسطيني في لبنان الذي بدأ بإلغاء التاشيرة، واستقبال الوفود الفلسطينية، وتشكيل لجان تبحث المشكلات الاجتماعية التي يعانيها الفلسطيني، واعداً بحلها.

يكون الرد بمعاقبة العهد، برفع وتيرة التحريض ضد الفلسطيني، في استخدام مقصود للرسالة القذرة، وضمن حسابات لبنانية داخلية مع الأسف، لتقطع الطريق نحو محاولات خلق بيئة إيجابية في العلاقات. لتقول أن الفلسطيني ضيف مزعج ولايستحق حق الضيافة.

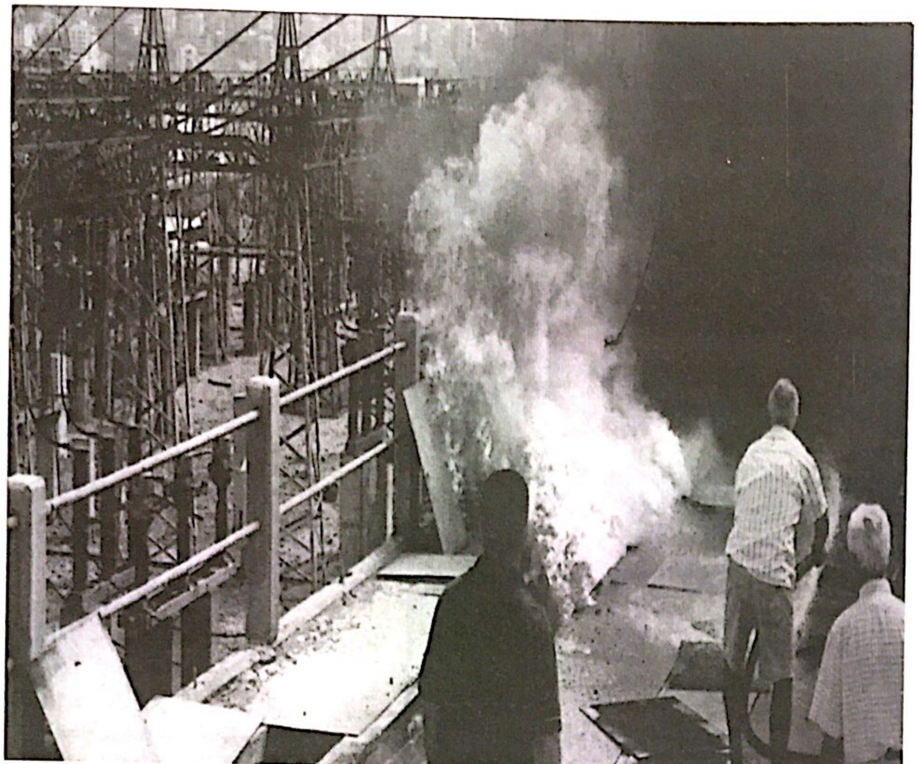
قصة «راجح» الفلسطيني:

لقد جرى إخراج المسائل من منطقها الصحيح وطاب للبعض اللعب بالحدث خارج الاطار السياسي، عند تقديم أدلة وهمية لاخفاء المجرم الحقيقي، ثم تضليل التحقيق واستباقه على النحو الذي جرى. وصولاً إلى استخدام قصة «راجح» كما في مسرحية «فيروز» مرة يكون راجح القابع في المخيم! هو عرفات! ثم فجاة يتحول إلى «أبو محجن»!.. وإن لم ينسجم اتهام الاثنين معاً، يكون «راجح» هو القاسم المشترك بينهم وهو المخيم. ونسى الجميع أن «راجح» هو كذبة سرعان ما تتفشى وتنتشر بأبواق عدة وأن ضررها لن يطال طرف دون آخر.

العدوان الجوي رسالة جديدة:

لقد جرى استيعاب رسالة العدوان الجوي بذكاء، وأبطلت مفاعيل الرسالة، بتأكيد الحكومة على الوحدة بين المقاومة والمجتمع والدولة. وعلى وحدة المسارين اللبناني - السوري، وبالتمسك «بتفاهم نيسان» الذي تنوي إسرائيل منذ حادثة أرنون إلى إجراء تعديل عليه ينتهي بترتيبات أمنية.

لقد تواطأت الحكومة الاسرائيلية القادمة مع الراحلة، لتفتح بالطائرات مجرى جديد للتفاوض يستفرد بلبنان، وأن أي شكوى لمجلس الأمن كان سيؤدي إلى قرار جديد قد لايكون على ذات صيغة القرار ٤٢٥ الذي يطالب العدو بالانسحاب من لبنان دون قيد أو



شرط لذلك لم ترفع شكوى هذه المرة. حتى لاتقول إسرائيل لقد انسحبنا من جزين دون قيد أو شرط ولكن المشكلة لم تحل، وبذلك تحدث ثغرة في هذا القرار.

أكد لبنان على وحدته، واستعداده لمواجهة «بنك الأهداف» الصهيونية المرسومة، والتي تريد التذكير أن لديها أوراق قوة تستند إلى ميزان الردع الاستراتيجي، حتى لايبدأ التفاوض من نقطة هزيمتها أمام المقاومة في الجنوب. أي أن الجميع يبحث عن أوراق قوته ويعمل على النفاذ من المواقع الرخوة لخصمه. لذلك فأمام الفلسطيني في لبنان فرصة، ليكون هو الآخر مفصل قوة للبنان وليس موقعاً رخواً، لأن قوة كل طرف هي سند للآخر.

قوة الفلسطيني قوة للبنان:

إن ثقل الأزمة التي تضغط على الجسد الفلسطيني، وعلى روحه وهويته وعقله ومعدته وأعصابه، لم تجعل المخيم هادئاً، حيث يتحول الضغط من الخارج إلى ضغط في الداخل، ترتفع فجأة وتيرة الترتيبات الأمنية حول مخيمات الجنوب، ويزداد العبء الأمني في المخيم، ترتفع العصبية حول المخيم وتنتقل إلى عصبوية داخله، وينشأ مناخ من التوتر ليؤسس لاحقاً إلى سلوك عنفي خطر ومؤذٍ في لحظات مصيرية.

إن المرحلة تفرض على القيمين والمخلصين في الواقع الفلسطيني عدم استطابة خطاب «راجح» واستخدامه بلغة فلسطينية، والخروج من دائرة الاشتباكات الكلامية، وإعفاء النفس من العمل عبر سياسة مكتفية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، نحو التأسيس لخطاب فلسطيني لايسمح بأي حال الاستهانة بالدم الفلسطيني، ولا بكرامة الانسان الفلسطيني في لبنان.

إن الاستمرار بالسماح للخطاب الانعزالي - الطائفي يجوب عبر الأبواق الاعلامية هو تشهير ضد الفلسطيني لايجب السماح به، والخطوة الأولى، اللجوء للقضاء، بتهمة التشهير، فالجميع تحت مرجعية القانون اللبناني، بما فيه الفلسطيني، المستعد للمثول أمام العدالة لانهاء كذبة «راجح» وبطريقة قانونية هذه المرة، دون أن ينسى أحد أن الفلسطيني ليس يتيماً، فهو جزء من الشعب الفلسطيني، والعربي، وعضو في الجامعة العربية وهيئة الأمم.

لملمة البيت الفلسطيني في لبنان:

إن خصوصية واقع الشعب الفلسطيني في لبنان، وطبيعة الدور الذي يجب أن يلعبه هذا التجمع، يطرح على الجميع مهمة وطنية لابد منها وهي الوحدة الشعبية الفلسطينية، والانطلاق نحو مرجعية فعلية، وليست إرادوية وشكلية على نحو ما يجري، وإن كانت المرجعية رسمية أو معارضة لكنها إسمية مع الأسف. فالجميع يعرف حقيقة الوضع الشعبي في المخيم، ودرجة الاهتراء التي وصلت إليها الأطر القائمة، وحجم الضغط المتزايد جراء ذلك على الانسان الفلسطيني.

ما معنى أن تقوم أم فلسطينية بتوزيع الحلوى، لأن البشارة جاءت لها بأن ولدها قد وصل إلى «برلين» عن طريق التهريب من أحد الدول الأوروبية المجاورة لألمانيا، وقصص كثيرة ليست سوى نتاج لوضع مزري.

اللجان الشعبية استنفذت محتواها الشعبي، واستغرقت بالفردية، القوى السياسية والأطر القائمة تشكل أدوات كبح للمجتمع الفلسطيني، وكان آخرها «مسيرة العودة» في محاولة لتعريب وتعنيف وضغط على الفاعليات الشعبية يجب أن تكف القوى السياسية عن مطالبة المجتمع بالطيران! وهو لايقوى على المشي! وكيف نقوم بفعل سياسي وطني والقاعدة الاجتماعية الحاملة لهذا الفعل بهذه الدرجة من الاهتراء والترهل.

الحوار ثم الحوار ثم الحوار:

إن المطلوب إطلاق مبادرة حوار يشمل الجميع ومن هم على هذا المركب. كون المسألة ميدانية قائمة على ترسيخ الوحدة الشعبية الفلسطينية.

إن الضرورة في أن يكون هذا الحوار شاملاً هي ضرورة وطنية خالصة ومخلصة للشعب الفلسطيني، فعلى القيادات المركزية أن تصرّح لقياداتها المحلية الانخراط في هذا الحوار وعلىأسس ضرورية يصيغها شروط الواقع.

- الانطلاق من حاجة المجتمع والاستجابة لها والتفكير الجماعي والديمقراطي بأفضل الطرق والامكانات لادارة شؤون المخيم خارج المحاجات السياسية بل تضع الأمن الاجتماعي والوحدة حول الوجود الفلسطيني، أساساً فوق الاختلاف على الموقف السياسي.

- حق الاختلاف حق مصان للجميع وإن وجود مجتمع سياسي فلسطيني أمر بالغ الأهمية، على أساس تناقض الجميع مع العدو الصهيوني، ولايصبح الاختلاف تناقضاً رئيسياً فيما بيننا.

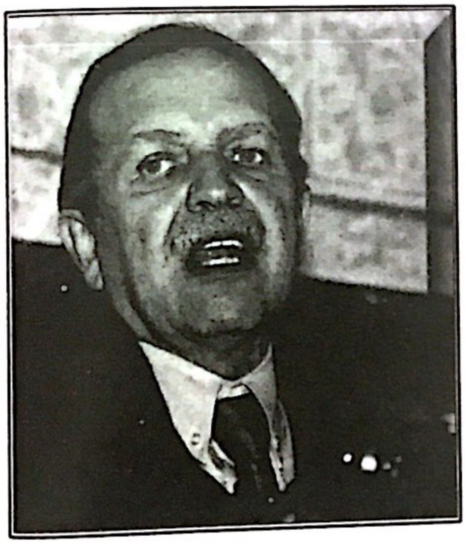
- الاتفاق ولو لمرة واحدة حول سياسة عليا فلسطينية، تخضع لها كل المصالح الفئوية والتنظيمية والفردية، السياسة العليا القائمة على حفظ الوجود، وتقديم أفضل الكفاءات والطاقات الوطنية والاجتماعية.

بذلك نستطيع أن نحفظ صورة الفلسطيني والقوة الفلسطينية، وأن نجعل قلب المخيم أكثر هدوءً ليأخذ مكانه في الصراع الوطني والقومي الشامل، وبذلك هو سند للذات والآخرين في المواجهة والاشتباك التاريخي المجتمعي الشامل■■

الجزائر: الرئيس السابع... بعد سبع سنوات عجاف

بوتفليقة... أمن... تنمية.. انطلاقة

د. محمد أبو ناموس



حصلت الجزائر على استقلالها من الاستعمار الفرنسي في عام ١٩٦٢. بعد حرب التحرير التي خاضها الشعب الجزائري الشقيق، بكل شجاعة وبطولة طيلة ثمانية أعوام قدم خلالها أكثر من مليون شهيد، وبعد ثلاثين عاماً من حرب الاستقلال ابتليت الجزائر بأعمال عنف وارهاب منذ سبعة أعوام راح ضحيتها ما يزيد عن مئة ألف قتيل ومليون متضرر، نتيجة المواجهات الدامية بين المتطرفين من الجماعات المسلحة وقوى الأمن الجزائرية.

في نيسان عام ١٩٩٩ فاز الرئيس عبد العزيز بوتفليقة في الانتخابات الرئاسية بنسبة ٧٣,٧٩٪ من اجمالي الذين أدلوا بأصواتهم بعد ان انسحب المرشحون الستة الآخرون.

لقد كان بوتفليقة مرشح الأحزاب الأربعة الكبرى في الجزائر، إضافة إلى نقابة العمال والمنظمات الجماهيرية ومالهما من قدرة على التعبئة والتحشيد.

إضافة إلى ذلك فهو متمكن من اللغة العربية، وتلقى علومه في جامعة الزيتونة بتونس والأزهر في القاهرة، وبعد وصوله إلى رئاسة الجمهورية انتصاراً لحملة التعريب في الجزائر وتدعيم أركانها، ويتصف كما يقول معارفه بأنه شديد الذكاء جريء في اتخاذ القرارات وبهذا يكون قد حقق التواصل والانتقال من الشرعية التاريخية إلى الشرعية الشعبية.

لقد تم اشاعة جو من القوى التي لا تريد للجزائر العودة إلى لعب دورها الريادي المميز بأن السيد بوتفليقة الرئيس السابع للجزائر لن يستطيع فعل شيء أو تغيير الواقع مادام أنه رجل المؤسسة العسكرية ومرشح النظام، وأن أقواله كأسلافه لا تتعدى أن تكون حبراً على ورق.

على ضوء ما تقدم، والأسئلة التي تلوح في الأفق، وفي مقدمتها هل تستعيد الجزائر دورها الريادي الذي كانت تلعبه على الصعيد الافريقي والعربي والدولي، والدور المميز على صعيد القضية الفلسطينية.

هنا محاولة للإجابة على ذلك.

التحديات التي تواجه الجزائر

ان أنظار العالم والشعب الجزائري تتجه إلى ما يمكن للرئيس بوتفليقة من تحقيقه ويأتي في المقدمة ألأمن والاستقرار وانعاش الاقتصاد، لقد وصلت البطالة في صفوف الشباب معدلات قياسية حيث يشكل الشباب نسبة ٧٥٪ من السكان.

وقد تم اغلاق ألف مؤسسة وطنية ومحلية وتسريح ما يقارب نصف مليون عامل. إضافة إلى ما تضمنه تقرير صندوق النقد الدولي طلباً من الحكومة الجزائرية بضرورة تحقيق نمو خلال هذا العام بنسبة ٧٪ وإلا سيضطر إلى العودة لاتباع نظام إعادة جدولة الديون.

مع العلم أن ٩٥٪ من عائدات التصدير من قطاع المحروقات وانتاج الغاز، (حيث تحتل الجزائر المرتبة الأولى بين بلدان منظمة أوبك والمرتبة الرابعة في العالم)، قد بلغ انتاجها من الغاز ١١٣ مليار متر مكعب في عام ١٩٩٥، وانتاج النفط بلغ ٧٣١ ألف برميل يومياً، إضافة إلى الموارد الأخرى في الزراعة من التمور والعنب خاصة وتربية الماشية. وقد بلغت الديون الخارجية ٣٠,٤٧٣ مليار دولار ١٩٩٨. وهذا ما حدا بالرئيس بوتفليقة ألى القول «إن الدولة الجزائرية مريضة حقاً وهي معتلة بعدد من العلل والأمراض، منها الرشوة، والمحاباة، والانحراف بالخدمة العمومية، وقد قدم في برنامجه اقتراحاً بادخال التجديد على القضاء والادارة وتثبيت دعائم دولة القانون».

الأمن:

لقد سبق وأن طرحت مبادرات عدة منذ عام ١٩٩٢ لوقف نزيف الدم في الجزائر ولكنها فشلت ومن أهم أسباب ذلك:

تمسك الأطراف والأحزاب بالمواقف المتباينة، فالقوى الداعية للمصالحة الوطنية كانت تصر على إشراك الجبهة الاسلامية للانقاذ في الحوار الوطني لتحقيق المصالحة والوفاق الوطني، والسلطة تعتبر أن هذا الملف قد طوي وأغلق نهائياً تحديداً بعدما قال القضاء كلمة الفصل. المعارضة تطالب وتدعو للمشاركة في الحكم وصنع القرار، وللسلطة

رأي مخالف يفصل ما بين المصالحة، والمشاركة في الحكم التي يحددها الشعب، هنا سؤال يطرح نفسه.. ما هي التطورات والخلفيات للهدنة؟!

لقد أدرك الجميع وتحديداً الجبهة الاسلامية للانقاذ وذراعها المسلح الجيش الاسلامي للانقاذ وبعض الجماعات المسلحة أن ساحة العنف اتسعت وبدأت تزداد، ويبدو ذلك في العدد الكبير من القتلى وتحديداً الأطفال والشيوخ والنساء، كما وقد ازداد عدد الجماعات المسلحة والخلافات التي دبت في صفوفها والقتال الذي دار بين بعضها البعض، والتناقضات وتضارب المصالح بين أمراء الجماعات المسلحة، والعيش في قمم الجبال وانعكاساته على أعضاء هذه الجماعات، وتعدد المراجع القيادية والخلاصة أن هذه القوى أدركت أنه لا يمكن أن تتحقق أية نتيجة فيما لو واصلت حربها ضد السلطة. وللجماعات المسلحة دروس وعبر مما حصل في أفغانستان وما آلت إليه طموحات القيادات الميدانية وكيف أوصلت البلاد إلى حالة الدمار الشامل، مع الفارق بين ظرف البلدين وطبيعة وظروف وخلفيات مادار من الصدامات.

وقد جاءت الرسالة التي وجهها أمير جيش الانقاذ الاسلامي مرزاق والتي انتقد فيها أعضاء الجماعات الاسلامية المسلحة ووصفهم بأنهم مجموعة من المجرمين الحاقدين.

وتأكيده للرئيس بوتفليقة أنه من السهل القضاء على المجموعات الاجرامية المنحرفة ونزع فتيل الفتنة ووقف إراقة الدماء في حال توفر حسن النية والارادة الجيدة وتضافر الجهود لتحقيق الهدف المنشود.

كما بارك وأيّد الشيخ عباس مدني زعيم الجبهة الاسلامية للانقاذ موقف قائد الجيش الاسلامي للانقاذ، ووجّه نداءً إلى حملة السلاح حيثما كانوا في الداخل والخارج بأن يلتحقوا بهذا المسعى بغض النظر عن تشكيلاتهم وكتائبهم.

وكانت رسالة الشيخ مدني مؤازرة للرئيس وتثميناً لموقفه ومسعاه الحكيم وقال أنه «سيكون إلى جانبه إذا واصل مسعاه من أجل أمة العزة والكرامة والحرية والشهامة». وأضاف «لا يسعني إلا أن أؤكد تأييدي التام وبدون تحفظ للموقف الذي اتخذه مرزاق الأمير الوطني للجيش الاسلامي للانقاذ والقاضي بالتوقف عن القتال انسجاماً مع مبدأ وقف النزيف الدموي الذي سبق ان ناديت به كما أؤيد بكل قناعة النداء الموجه للجماعات الأخرى لكي يدخلوا في السلم كافة». كما وقد أضفى الشيخ مدني ثبات شرعية الهدنة وقطعيه أدلتها في القرآن الكريم والسنة النبوية، ولم يكتفِ بتأييد الداعين إلى الهدنة وتزكيتهم بل قال «أتحمل مسؤولية الدعوة إليها من خلال دعوتي إلى ايقاف النزيف الدموي على الفور». الرئيس بوتفليقة وكما قال أثناء حملته الانتخابية «أنا أؤمن بأن الجزائر ملك لجميع الجزائريين، وبأن بناءها ينبغي أن يتم بسواعد كل أبنائها، وانني في حال فوزي بثقة الشعب، سأعمل جاهداً على حشد جميع الطاقات، واستثمار كل الكفاءات من مختلف القيادات من دون اقصاء، أو تهميش من أجل بعث التنمية واسترجاع الأمن والثقة بالنفس، ومواجهة التحديات الراهنة».

وقد أعلن الرئيس بوتفليقة أنه سيقدم قانون الوفاق المدني إلى البرلمان في تموز القادم ليحل محل قانون الرحمة الذي دخل حيز التنفيذ في عام ٩٥ وطبقاً لقانون الوفاق يتم تحديد سبل منح العفو العام أو الجزئي للاسلاميين المسلحين الذي ألقوا أسلحتهم وغير المتورطين في جرائم القتل والاغتصاب.

وتفيد المعلومات أن عدد التائبين من الجماعات المسلحة بلغ خمسة آلاف عنصر وبهذا يكون الرئيس قد قام بخطوة ايجابية تطبيقاً لما قطعه على نفسه في الحملة الانتخابية بأن مصلحة الجزائر فوق الجميع، وفي هذا السياق تاتي استجابته السريعة للرسالة، ومن ثم وضع قاعدة قانونية وسياسية لهذه المبادرة الجريئة التي ستحدد كيفية أخذ طريقها نحو التطبيق العاجل. وقد تعهد الرئيس بوتفليقة أنه سيدعو إلى استفتاء على قانون المصالحة الوطنية في حال رفض البرلمان هذا القانون وقال «سأحيل قانوناً إلى البرلمان وفي حال سلك الطريق الصحيح أي طريق المصالحة الوطنية فسوف أطبق القانون» مضيفاً «أما إذا لم يوافق البرلمان عليه سوف أرفعه للشعب وإذا جاءت النتيجة سلبية سوف استقيل».

فالأولوية لدى الرئيس هي معالجة الملف الأمني مما يعين التوجه لحل المشاكل التي يعاني منها المواطن الجزائري على كافة الصعد الاقتصادية والاجتماعية والصحية، وبهذا يمكن للجزائر بعد انتهاء هذا الملف الأمني أن تتجاوز سياسة التقوقع والانغلاق على الذات التي عاشتها، كما وأنه مطلوب من الأحزاب الجزائرية كافة أن تنفتح على الرئاسة لمعالجة قضايا البلاد وايقاف نزيف الدم، واستعادة الجزائر لدورها الريادي في القارة الافريقية والوطن العربي والعالم. ففي الجزائر تم اعلان الدولة الفلسطينية في نوفمبر عام ١٩٨٨، والموقف من فلسطين معروف للجميع، حيث قدمت كل ما تستطيع من دعم للشعب الفلسطيني لانتزاع حقوقه الوطنية، كما احتضنت مؤتمر القمة العربية، قمة الانتفاضة الذي جمع كل الرؤساء والملوك العرب في حين لم تتمكن من جمعهم في عام ١٩٨٢. فما أحوج العرب للدور الجزائري في هذا الوقت الحرج■■



حول الموقف المتفجر بين الهند وباكستان

كشمير في بؤرة العاصفة النووية

حسن العاصي



بعد حوالي سنة من إجراء الهند وباكستان لتجاربهما النووية، وبعد أقل من ثلاثة أشهر لاجتماع «لاهور» بين رئيسي حكومتي البلدين، شهدت منطقة كشمير الحدودية تصعيداً عسكرياً خطيراً ينذر بأسوأ مواجهة عسكرية بينهما منذ ثلاثين عاماً. بدأت الأزمة عندما أعلنت الهند أن قوات مسلحة موالية لباكستان، ويقدر عددها بالمئات، اخترقت الخط العسكري الذي يفصل بين البلدين في إقليم كشمير واحتلت بعض المرتفعات في جبال الهملايا في الجانب الذي تسيطر عليه القوات الهندية منذ حرب عام ١٩٧١. وفيما تطالب الهند باكستان سحب جنودها من منطقة كارجيل، تصر باكستان أن الذين استولوا على المرتفعات الجبلية هم من المجاهدين الكشميريين وليسوا قوات باكستانية.

وقد أحيت الأزمة الأخيرة، مخاوف إقليمية ودولية بعد تصاعد الموقف بين الدولتين النوويتين الجارتين في شبه القارة الهندية. فالهند تخشى أن يؤدي انفصال كشمير إلى انفصال أقاليم أخرى عن الدولة خصوصاً في ولاية البنجاب ذات المشاكل الطائفية وأعمال العنف المستمرة، أما باكستان فإنها ترفض السيطرة الهندية على كشمير لأنه يهدد أمنها القومي الإستراتيجي. وبين هذه الحجة وتلك اندلعت ثلاث حروب بين البلدين ارتبطت بمشكلة كشمير، الأولى عام ١٩٤٨، وتوقفت بعد تدخل الأمم المتحدة وتثبيت حدود جديدة، والثانية عام ١٩٦٥ مع دعم أميركي لباكستان، وروسي للهند، والثالثة عام ١٩٧١ وكانت الأخطر إذ أدت إلى قيام دولة بنغلاديش وهي التي كانت تعرف باسم باكستان الشرقية، ولم يتمكن اتفاق سمبلا عام ١٩٧٢ بعد ذلك من إيجاد حل سلمي ونهائي لقضية كشمير عن طريق المفاوضات. ورغم تراجع مشكلة كشمير من صدارة الاهتمامات الدولية، إلا أنها بقيت كامنة تنذر باندلاع حروب جديدة.

وهنا يفرض السؤال التالي نفسه بقوة على مشهد الأحداث الساخنة: لماذا تم تصعيد الموقف حول كشمير في هذا التوقيت بالذات؟

نقول: إنه ليس سراً أن بعض المشاكل والأزمات بين أية دولتين، إنما يكون سببه الحقيقي مشاكل داخلية مثل صراع على الحكم أو معركة انتخابية، ولسوء حظ الهند وباكستان أنهما يعانيان في الداخل أزمة انتخابية حادة وأنهما على أهبة إجراء انتخابات عامة، وبالتالي فإن من مصلحة الأحزاب الحاكمة الآن في نيودلهي وإسلام آباد، نشوب معركة خارجية حول قضية قومية وحساسة.

وتجليات هذا البعد تبدو أكثر وضوحاً في الهند التي تعتصرها أوضاع اقتصادية داخلية جعلتها تبطئ كثيراً في تلبية استحقاقات اقتصاد السوق الحر لتؤهل نفسها لمهام الانخراط في المنظومة الاقتصادية العالمية، وفي جعبة الهند حقائق موجعة عن أدائها الاقتصادي في الفترات التالية لتطبيقها الاصلاحات الاقتصادية التي بدأت عام ١٩٩١، وبين هذه الحقائق تقهقر وضع الهند في سلم المنافسة العالمية من الدولة رقم ٣٥ عام ١٩٩٤ إلى الدولة رقم ٤٥ عام ١٩٩٧ بكل التداعيات الاجتماعية لمثل هذا الوضع على الجبهة الداخلية، ثم إن نسبة النمو التي كان قد وصلت إلى ذروتها (٧ في المئة) بين عامي ١٩٩٠-١٩٩٦ عادت وتراجعت إلى النصف عام ١٩٩٨. والصادرات الهندية انخفضت هي الأخرى من ٢٠ في المائة إلى ٤ بالمائة عام ١٩٩٧. ودخل الفرد بعد خمسين عاماً على الإستقلال لم يتحسن، بل بقي على حاله (دولار واحد في اليوم) ليجعل في الهند وحدها نصف فقراء العالم. وعلى الصعيد السياسي أيضاً تبدو صورة الهند قاتمة بقراءة الهند نفسها، بالتداعيات الاجتماعية للأزمة الاقتصادية على النحو الذي حصل في اندونيسيا وتايلاند، وفي المشهد أيضاً التراجع المشهود الذي سجله حزب المؤتمر وفشله في الاحتفاظ بأغلبيته تاركاً مسرح الهند السياسي للحزب الهندوسي القومي و١٣ حزباً، يقود البلاد في ائتلاف هش.

أما في باكستان فقد لايبدو هذا البعد بنفس حيويته التي تتجلى في الهند كترياق لمأزقها الداخلي، وإن كانت جبهة باكستان الداخلية تحتفظ هي الأخرى بنتوءات كثيرة وفي مقدمتها الخلافات المذهبية والعرقية التي جعلت من أعمال العنف والاغتيالات وجبة خبرية يومية، وأغرقت العاصمة التجارية «كراتشي» في ما يشبه الحرب الأهلية بين قوات الأمن وحركة المهاجرين القومية، فنواز شريف الذي يخوض معركة حياة أو موت مع بنازير بوتو، يرى في إيقاظ الشعور الديني جسراً انتخابيا لبقائه في الحكم.

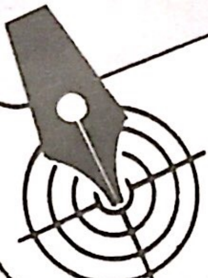
والآن فإن خيارات الحل محدودة والنزاع لايزال قابلاً للتطور خاصة مع إصرار الهند على رفض تدخل أي طرف ثالث حتى لايتم تدويل القضية، ومع ظهور عامل جديد بالملاحظة عن تدخل إسرائيل في هذه الأزمة بشكل غير مباشر، فقد ذكرت نشرة «جينس دفنس» العسكرية المتخصصة في لندن، أن الهند أبرمت صفقة مع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لشراء ذخائر بقيمة ١٢ مليون دولار لتعويض النقص الذي حصل في مخزون الجيش الهندي جراء المواجهات الدائرة في كشمير، وهو أمر قد تستفيد منه إسرائيل التي فتحت صفحة جديدة في علاقاتها مع الهند منذ مطلع عام ١٩٩٣.

وما لم يتم معالجة جميع الملفات الأمنية والسياسية العالقة بين الهند وباكستان عن طريق الحوار السلمي، فإن المأزق سيظل قائماً مع جميع مخاطر الانزلاقات الممكنة، ومنها نشوب حرب رابعة بينهما تكون نتائجها وخيمة على البلدين وعلى المنطقة بأسرها، فها هي شبه القارة الهندية تدخل هي الأخرى في لعبة الانقسام الطائفي والسياسي الذي حذر منها المهاتما غاندي قبل خمسين عاماً، فسقط اغتيالاً برصاص شاب هندوسي متطرف.

ومن الملاحظ أن في حسابات نيودلهي وإسلام آباد حقائق تتفاوت في موضوعيتها وعقلانيتها إذ لفترة امتدت نصف قرن تقريباً ظلت دوائر معينة في الهند توهم نفسها وبقية العالم الاعتقاد بأن الإضطرابات المتواصلة في كشمير تعود إلى تشجيع باكستان وحسب، ولم يكن ذلك الإفتراض نافعاً، وقد أعاق الهند عن تمييز الأسباب الحقيقية للاضطرابات.

وفي الجانب الآخر تنشر بعض الأوساط أن الروح القتالية الباكستانية هي وحدها التي ستمكن الكشميريين من اختيار مستقبلهم، وكان ذلك الموقف أيضاً غير مثمر بالمقابل. فكشمير قضية صراع أرض وشعب وتاريخ محكومة برغبات عنيدة من أطراف النزاع وبعناصر صراع سياسية وجغرافية واثنية وهو الذي دفع بالدولتين لإنفاق ٧٠ مليار دولار على برنامجيهما النووية و١٣ مليار دولار في الإنفاق العسكري سنوياً.

يجب على أطراف النزاع وكذلك المجتمع الدولي والأمم المتحدة الإدراك بأن مشكلة كشمير لاتحتمل اللامبالاة فلا مبرر لوجوب بقاء كشمير مسرحاً لحرب ذهب ضحيتها عشرات آلاف القتلى، فتجربة نصف قرن أظهرت أن العنف من أيما زاوية أتى لايمكن أن يأتي بحلول لمشكلات شبيهة، والجواب على مشكلة كشمير لايوجد في حرب أخرى نووية كانت أم لم تكن. فجميع الأطراف المعنية بالمأزق الكشميري تحتاج إلى إدراك بعض المعالجات والأفكار الجديدة ■■



قضايا ثقافية

الهدف الثقافي

«الهدف» في ذكرى تأسيسها تعانق غسان كنفاني في ذكرى رحيله!

في هذه الأيام تكون مجلتنا «الهدف»، قد بلغت الثلاثين من عمرها، ولعمر الثلاثين رنينه الخاص كزمن، بالنسبة للأشخاص أوالمؤسسات، فثلاثة عقود مرّت كفيلة بأن تفتح الذاكرة على أمداء واسعة تكاد لا تُحدّ، وإذا كانت المنابر عادةً تحدّث عن أبنائها: هواجسهم، أحلامهم، أفكارهم، صراعاتهم، انكساراتهم، معاركهم الفكرية والسياسية والثقافية، مشاريعهم الوطنية، التحرّرية والقومية، والإنسانية، والتنويرية.. فإننا نعتقد أن «الهدف» مع إطلالة موضوعية على تراثها الذي خلّفته طوال السنوات الثلاثين، قد بذلت باندفاع، واستقامة، وجدّية الجهد الحثيث، والعمل الصادق من أجل أن تكون صورة ناصعة لمشروع النضال الوطني الفلسطيني بأفقه القومي والإنساني التحرّري، وكانت أمينة لأفكارها ومبادئها، بعيداً عن أي تزمّت منغلق على ذاته.. وبعيداً عن أي إدعاء بانفتاح منفلش من عقاله.. وإذا كانت هذه المناسبة تصادف أيضاً ذكرى رحيل مؤسسها الشهيد غسان كنفاني، فإن هذا يحمّلنا مسؤولية إضافية في انتقاء كلماتنا التي لانريد أن نرمي بها جزافاً، وهذا ما يدفعنا إلى النظر لذاتنا، وإلى ما حولنا، الآن وهنا، وهذا يفضي إلى السؤال: هل يكفي أن نعيش على الماضي، مطمئنين إلى تراث «الهدف» الزاخر الذي كرّسته، ورسّخته طوال السنوات الثلاثين الماضية.. أم أن المسؤولية تقتضي أن نحاسب أنفسنا الآن؟ ونسأل ماذا عن أحوال «الهدف» الآن؟ وهل «الهدف» اليوم هي بنفس قامة وهيبة وتأثير «الهدف» الأمس؟! أم أنها تأثّرت بأحوال الزمن وضعفه وانكساراته؟!

يجب أن نعترف صادقين أن «المنابر» كما الأشخاص ليسوا بمعزلٍ عن الظروف الموضوعية والذاتية التي تحيط بهم، ويجب أن نعترف أن الحال الآن أقل بكثير من حجم طموحنا وأحلامنا ومشاريعنا الكبيرة.. وأقل أيضاً من تراثنا الذي رسخته «الهدف» في ذروة نهوضها وإشعاعها وتأثيرها.. لكن، وبعيداً عن منطق التبرير، يكفي «الهدف» فخراً.. أنها مازالت تكافح مواجهة معوقات الواقع، وجزر الحركة، وتظهر لقرائها وأصدقائها بجهود نفر محدود، وباقل القليل من الإمكانيات البسيطة المتاحة في زمن المزاحمة، وثورة الاتصالات السمعية ـ البصرية وانفجار المعلومات.. وإذا كان البعض سيعتبر هذا الكلام مجرد تبريرات مرفوضة، فإننا والحزن يقطر من أفئدتنا نقول: سوف تقف «الهدف» بهذه المناسبة وقفة نقدية أمام ذاتها، لكن المناسبة تستدعي أيضاً من جميع الكتّاب والمثقفين والنقاد والمفكرين والصحفيين من أصدقاء «الهدف» الحريصين علي سمعتها واستمرارها أن يتحمّلوا أيضاً مسؤولياتهم، ويقوموا بدعم هذا المنبر الذي بات رمزاًوطنياً، نضالياً، تنويرياً بحجم قامة غسان كنفاني الذي ترفرف روحه حولنا هذه الأيام.

هل ينبغي حرق أعمال غسان كنفاني ومنع الناس عن قراءتها؟!

فيصل درّاج

ما معنى أن نحتفل اليوم بغسان كنفاني، وما معنى أن نحتفل، مرة أخرى، بمجلة الهدف؟ لامعنى للسؤال إلا في علاقته بالمآل الذي وصلت إليه القضية الفلسطينية، لأن غسان، كما مجلته، ارتبطا بالقضية التي وصلت إلى ما وصلت إليه.

ليس صعباً معرفة المصير الذي وصلت إليه القضية التي كافح من أجلها صاحب «رجال في الشمس» وذهب شهيداً. ولايقوم الأمر، بالتأكيد، في الهزيمة في ذاتها، فكثير من القضايا العادلة والعظيمة تهزم وتعاود الوقوف. غير أن القضايا العظيمة تلتقي، غالباً، بنهاية جليلة، حتى في لحظة هزيمتها الأخيرة. والأمر الفلسطيني أكثر مأساوية وحزناً وفجائعية، لأن الهدف العظيم، الذي ضحى من أجله الشعب الفلسطيني وأكثر من التضحيات، حظي بنهاية بائسة ، بل بنهاية مؤسفة لاتثير إلا الشجن والضحك الأسود.

يقول حكيم: «يمكن أن نصلح الحاضر دون أن نجعل من الماضي مسخرة». وقيادة العمل السياسي الفلسطيني آثرت أن تنقض القول وتهدمه، حين لم تصلح شيئاً واكتفت بتحويل الماضي المهيب إلى مسخرة. فلا الشعب الفلسطيني كسب سلطة وطنية تساوي أبعاضاً صغيرة من نضاله وطموحه، ولا القيادة أعطت درساً سياسياً تحررياً يستفيد منه الشعب الفلسطيني أو الشعوب الأخرى، ولا فتحت هذه القيادة العتيدة أفقاً ولا أنتجت ثقافة ولا زرعت قيماً، ولا وحّدت الشعب أو حفظت وحدته السياسية القديمة، ولا أنجزت تحالفاً عربياً مثمراً، ولا أعطت دروساً في أخلاقية العمل الوطني، ولا أحسّت بأحزان الفلسطيني في الوطن المصادر والمنفى المتعدّد، ولا حفظت الذاكرة الوطنية أو عملت على حفظها، ولا... كل شيء ذهب في اتجاه نقيض، فلا الوطن عاد، ولا وُضِعت على قبور الشهداء المتناثرة زهرة.. فكل ما أنجزته هذه القيادة المتمسكة بمصالحها إلى الأبد، هو تكوين حفنة من الأغنياء الجدد، وتسويغ الاحتلال المتجدّد للأراضي الفلسطينية، والاعتراف بالمشروع الصهيوني، بل القبول بالتعاون والتنسيق معه من أجل تأمين الأمن للدولة العبرية، الأمر الذي حوّل السلطة العتيدة إلى شرطي مترامي الأطراف يضرب الفلسطينيين ويهجس بالأمن الإسرائيلي.

إلى أين وصل المآل الفلسطيني وبماذا حلم غسان في أحلامه الشابة وفي هواجسه الكثيرة وهو يغادر الحياة شاباً أيضاً؟ حلم بإنسان جديد يمارس شكلاً كفاحياً جديداً، يقود ولو بعد زمن، إلى فلسطين. وكان وهو يحلم بالإنسان الجديد يفكّر بثقافة توافق الحلم والإنسان الجديدين. كأن غسان قد وزّع هواجسه على عناصر أربعة هي: الإنسان، الثقافة، السياسة، الوطن. كان يهجس حالماً ومقاتلاً من أجل تنزيل الحلم إلى الأرض وإعطائه أقداماً صلبة وثابتة، تجعل الفلسطيني منتصراً، سواء وصل إلى أرضه أو سقط مبدداً في أصقاع المنفى.

لايتمرد الإنسان إذا عرف البؤس، بل يتمرد حين يعرف أسباب البؤس ووسائل التحرّر منه. ولذلك لم ينظر غسان إلى إنسان مجرد، أو فلسطيني مجرد، بل إلى فلسطيني جديد، يعي أسباب نكبته ويدرك أحوال العالم العربي ويعرف أكثر ماهية العدو الصهيوني الذي يقاتله، ومن أجل نشر الوعي وتنظيم البشر الذي نهض وعيهم أقام مجلة الهدف، جاعلاً منها درباً إلى الحقيقة، لا حقيقة الكتب والكلمات المجرّدة، بل الحقيقة التي يكتشفها الناس وهم يمارسون حياتهم الصعبة ويعملون على تغييرها.

سعى غسان إلى ثقافة أخرى، تختلف عن الثقافة المسيطرة وتنقضها، ثقافة لاتنفصل عن الممارسة الكفاحية وتقطع مع عالم القيم البليدة والنفعية والانتهازية والقدرية.

رأى الثقافة الحقيقية في «أم سعد» التي لاتعرف القراءة، ربما، ولاتعرف الكتابة، ربما لكنها تعرف بحسها الشعبي وبقتالها اليومي، ما يدور حولها وأسبابه، وتميّز بين الزائف والصحيح والصادق والكاذب. لم يكن غريباً على غسان، الذي عمل طويلاً في فضاء الصحافة والمثقفين، أن يدرك أن ثقافة المثقفين، وبالمعنى المسيطر، هي ثقافة سلطوية، أو ثقافة تدور وتتلوّى وتراوغ وتنتهي إلى أحضان السلطة. ولم يكن غريباً أيضاً أن يحتل المثقفون مواقع هامشية في أعماله الأدبية، إن لم يكن ينظر إليهم بالكثير من التحوّط ولذلك ذهب في اتجاه ثقافة أخرى، تستولد المعرفة من الممارسة وتستنبت المفاهيم من الحياة العملية. وقد حاول أن يشرح هذا، وبشكل جميل، في عمله الناقص، أو الذي لم تتح له الحياة أن يكمله، وهو: «الأعمى والأطرش».

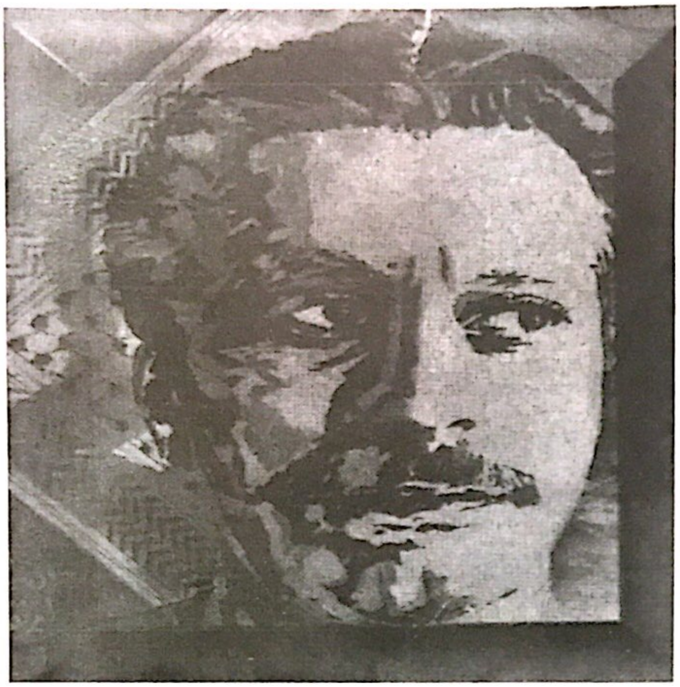
إنسان جديد وثقافة جديدة، هذا ماسعى إليه غسان وحلم به، والإنسان الجديد يعرف حقائق عصره ويتمتع بذاكرة جديدة، أي بذاكرة تحتفظ بالتاريخ الذي مضى، وتميّز فيه بين الفلسطيني الصالح والفلسطيني الآخر، الذي يرى رفاه عيشه قبل أن يلمح صورة فلسطين، وإن لم يحوّل الأخيرة إلى سلعة تباع بين سلع أخرى، تؤمن له مورداً جديداً يرفد رفاه عيشه السابق. لقد نظر غسان، وهو يبحث عن ثقافة جديدة، إلى الماضي وتأمله من وجهة نظر وطنية، كي يستمر الإيجابي القديم متجدداً في الحاضر، وكي لايكرر الفلسطيني هزائمه، لأن من ينسى هزائمه القديمة لاينتظر إلا هزائم جديدة لا أكثر. ما الفرق بين الآن وكارثة ١٩٤٨، وما الفرق بين الكارثة هذه والمصير الحزين الذي انتهت إليه ثورة ١٩٣٦ التي وضع حولها غسان دراسة مجيدة؟ كل مرحلة جديدة تكرّر بؤس التجربة التي سبقتها، دون أن تعي شيئاً من الدروس الماضية ولا من الوجوه الإيجابية التي ظهرت في الماضي. كما لو كان الشعب الفلسطيني قد فقد شيئاً من الذاكرة، بعد أن فقدت قيادته الذاكرة كلها، وبعد أن دفعت به، أيضاً، إلى التخلّص من الذاكرة. وإلا فما معنى الفقرات والكلمات المتراصة

والمتراصفة التي جاءت في اتفاقية «واي بلانتيشن» والتي ترى في الاشارة إلى أي أثر وطني فلسطيني تحريضاً على «العنف» واستنهاضاً لـ «التطرّف». وفي هذه الحال، ماذا نفعل بتراث غسان، وهل من المفترض أن نحرق غسان وأعماله ونمنع الناس عن قراءتها، لأنها تتحدّث عن ثورة ١٩٣٦ وعن العودة إلى الوطن وعن استنكار الخروج من الوطن وعن المختار اللعين الذي باع ثورة ١٩٣٦؟ ينطوي الحديث عن «الأمن الإسرائيلي»، وفقاً للصيغة الأمريكية ـ الإسرائيلية، على ضرورة إحراق تراث غسان كله، وإحراق كل الكتب والقصص والروايات والقصائد التي قالت يوماً أن فلسطين لشعبها الفلسطيني وأن الوجود الصهيوني احتلال سافر لا أكثر. بهذا المعنى، الذي غادره المعنى، يتحوّل «إصلاح الحاضر» إلى مسخرة، ويتحوّل الماضي الوطني في الحاضر ـ المسخرة إلى مسخرة جديدة.

هجس غسان مقاتلاً من أجل إنسان جديد وثقافة جديدة. غير أنه، وهو المناضل الحالم والصادق في آن، كان يدرك إدراكاً عميقاً الوحدة بين الثقافة الجديدة والسياسة المرتبطة بها. فإذا كانت الثقافة الجديدة شرطاً للسياسة الجديدة وتعبيراً عنها، فإن على السياسة، إن كانت جديدة، أن تترجم معارف وقيم ومُثل الثقافة الجديدة، أي تتحول إلى فعل شعبي أو إلى فعل جماعي، على مبعدة من اجتهادات ماسخة حدودها الغرف المغلقة والكلمات المعادة والجمل المجترة. «من يبحث عن الحقيقة يموت على قارعة الطريق»، أي يموت وهو يبحث عنها، دون أن يستكين إلى الجمود والتكلّس والصيغ الايمانية الفارغة. ولعل غسان وهو يهجس بثقافة جديدة، تكتشفها الإنسانة البسيطة ـ العظيمة «أم سعد»، ويقع عليها «الأعمى والأطرش»، ومن ينتسب إليهما، كان يهجس أيضاً بالسياسي القديم، الذي يضطهد «أم سعد» ويغتال «الأعمى والأطرش» و«البصير ـ السميع»، كي ينتهي حراً وطليقاً إلا من عجزه وأنانيّته وأمواله المكدّسة، شأنه شأن «أبي الخيزران» الذي حزن على الفلسطينيين لحظة ثم استأنف غبطته القديمة التي لا شرف فيها.

الإنسان الجديد، الثقافة الجديدة، السياسة الجديدة. والجديد هو الذي ينقُد القديم ويزعزع المسيطر ويقوّض التقليدي. وهل كان على الفلسطيني النجيب أن يدرك بؤس القيادة الفلسطينية في بؤس ما وصلت إليه اليوم؟ بالتأكيد يأتي الجواب نفياً، لأنها منذ سنين طويلة، وبعد أن كتب غسان عن سياسة المقاومة بعد حرب حزيران مباشرة، كانت تقليدية وشديدة التقليدية في السياسة والثقافة وتعاملها مع الإنسان، على الرغم من كلمة الرصاص التي تخترق السطور والخطابات والاحتفالات الحاشدة.

وماذا يتبقى من الهدف اليوم، أي من مجلة الهدف التي أرادها غسان، درباً إلى النور والإضاءة الكاشفة والمعرفة الوطنية وصوتاً للحقيقة؟ ولعل الجواب، في زمن الاحباط وانهيار الأحلام، يأتي مرتبكاً وناقصاً ومليئاً بالانفعال ومفعماً بالأسى. غير أنه وهو في الحال التي هو فيها ينظر في اتجاهات متعددة أولها: الدفاع عن القيم الكفاحية والوطنية التي دافع عنها غسان، والحالمة بثقافة جديدة تتحالف مع سياسة جديدة. وثانيها الارتقاء بالمجلة ذاتها إلى المستوى الكتابي والثقافي الذي قاتل غسان من أجله، وثالثها: الدفاع عن الحقيقة من وجهة نظر المصلحة الوطنية، ورابعها: تأكيد الهدف حاملاً لمشروع وطني يعرف المرغوب والممكن والماضي والحاضر، أي أن تكون الهدف أداة لفتح أفق جديد، يحمل الأمل والاستبصار والحوار.. والأمر يتجاوز هذه العناصر المتفرقة، لأن العنصر الجوهري فيه والأكثر جوهرية هو مفهوم: النقد. فمن المفترض، نظرياً، أن تكون مجلة غسان كنفاني هي الإطار الذي يتم فيه نقد وجوه السلب الكثيرة في الحياة السياسية



والكفاحية والثقافية الفلسطينية، لا بمعنى نقد ما يجري اليوم فقط، بل بمعنى جملة الأسباب الماضية التي أنتجت البؤس الراهن الذي يغمر الآن الشعب الفلسطيني.

فالنقد الصريح والواضح والصادق لا يعطي فقط معرفة نظرية وسياسية ضرورية للبحث عن أفق جديد، بل إن النقد ـ حين يكون قاعدة نزيهة ـ قادرٌ على التبشير بوحدة فلسطينية جديدة، وحدة على مستوى الفكر والشعور والتأمل والهوية. وإلا فما معنى الطليعة السياسية، وما معنى الطليعة الفكرية، وما معنى الطليعة الوطنية، إن لم تكن هذه الطليعة المفترضة قادرة على إعطاء الجماهير الفلسطينية أشياء لا تستطيع الوصول إليها لوحدها.

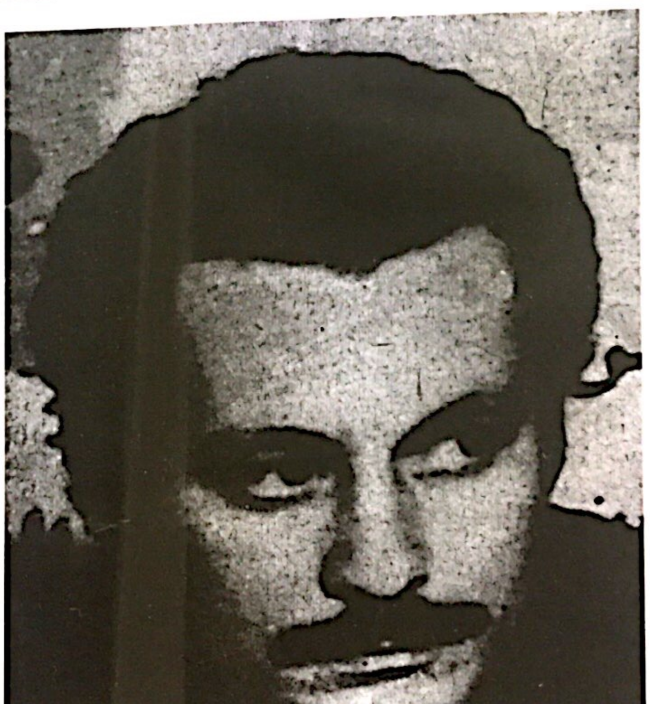
إن قيادة تعيش على رد الفعل ولا تعرف الفعل والمبادرة والمبادأة هي إدارة روتينية يومية لا أكثر، ذلك أن قيادة كهذه تتعرّف بخارجها، وما يتعرّف بخارجه لا وجود له ولا ضرورة له، حتى إن كان موجوداً، لأن القيادي الحقيقي يتعرّف باقتراحاته الخاصة به وبممارساته المغايرة لغيرها، وبفعله الدؤوب الذي يحاصر الخصم ويضعف مواقفه، مبرهناً، وبشكل عملي على أن القيادة الحقيقية تقوم في مكان آخر، لا في المكان الذي «اخترعته» القوى المعادية للشعب الفلسطيني.

وفي النهاية تظل الهدف مرآة وطنية رحبة وواسعة، وذلك في وجوه كثيرة: فهي مرآة، تاريخية تعكس وقائع الشعب الفلسطيني في المرحلة الممتدة من حرب حزيران حتى اليوم، وهي مرآة سياسية، حللت الوقائع ووجوه الضعف والقوة فيها، وأشارت إلى ما يجب الأخذ به وما يجب التخلي عنه، وهي مرآة روحية تكشف عن أحلام وطموحات الشعب الفلسطيني وعن أحزان وانكسارات هذا الشعب أيضاً، وهي الإطار الواسع الذي سجّل جرائم الكيان الصهيوني بحق الشعب الفلسطيني، وهي فضاء نقرأ فيه المنظور القومي لمجلة الهدف، الذي يربط بين الواقع العربي ومصائر الشعب الفلسطيني، وهي مجال واسع تتراءى فيه تلك النزعة الكفاحية التي تروي كفاحات وآمال المضطهدين الباحثين عن أفق إنساني جديد. بهذا المعنى، فإن مجلة الهدف جملة مرايا متوازية ومتقاطعة تعبّر عن الفلسطيني المقاتل وعن أحلام الحرية في كل مكان ■■

غسان كنفاني والثقافة المقاتلة

حمدان حمدان

في السنوات الأخيرة من عقد الستينات، حكمت المحكمة العسكرية الإسرائيلية في غزة، على الرسام الفلسطيني فتحي إسماعيل بالسجن لمدة ستة أشهر مع وقف التنفيذ فضلاً عن دفع غرامة قدرها ثلاثون ألف شيكل، لالشيء، إلا لأنه ضمّن إحدى لوحاته أربعة شرائط بالألوان المتتالية، الأحمر ثم الأخضر ثم الأبيض فالأسود.. فاكتشفت المحكمة أن هذه الألوان تمثّل علم فلسطين.



كانت غولدا مائير، قبل أقل من سنة، من صدور الحكم قد أدلت بتصريح شهير يقول: (لاوجود للفلسطينيين، وليست المسألة مسألة وجود شعب في فلسطين يعتبر نفسه الشعب الفلسطيني، وليست المسألة أننا أتينا وطردناهم وأخذنا بلادهم، لا، إنهم لم يوجدوا أصلاً (مائير ١٩٦٩/٧/١٥ من تصريح لها لصحيفة ساندي تايمز) وهكذا فإن إنكار تاريخ فلسطين وجغرافيتها كان يعني الإنكار المادي للوجود الفلسطيني، وهو بالتالي إنكارٌ لكل التراث الثقافي والروحي والأدبي لشعب فلسطين. فالإبادة العرقية التي استهدفت تجريد الفلسطينيين من أرضهم وتاريخهم وجذورهم، مع اجتثاث هويتهم الثقافية والاجتماعية والقومية، ألزمت الثقافة الفلسطينية أن تكون ثقافة مقاتلة، حتى ولو لم يكن في يدها اختيار موقع القتال أو توقيته أو طبيعة أسلحته..

كان غسان كنفاني من جيل الشقاء الذي انخرط في معركة السيف والقلم، بكل جدارة المناضل الحي، المتسامي فوق حطام الدنيا، الذاهب بصلابة الإرادة نحو وعي الوضع والرسالة.

قال لي ذات مساء، وهو يزرق إبرة الأنسولين في ذراعه اليسرى، (لايعلم أحدنا مَنْ سيؤبن الآخر منا، ولكن إذا مت قبلكم، أرجو أن ترسلوا تابينكم عشقاً للارض، فالموتى في نهاية المطاف هم حبّات تربتها وعيون تاريخها إلى الأزل) وكان ذلك بعد نيّف وسنة من كارثة حزيران في مكاتب الهدف في بيروت.

كانت رحلة غسان في الثقافة المقاتلة، طويلة إذ امتدت من الشباب اليافع في (نشرة الثأر) الأسبوعية عام ١٩٥٢ وحتى أواخر حياته في شهادته عام ١٩٧٢.

وما بين الثأر والهدف، كان غسان العامل في جريدة المحرر البيروتية، يصدر ملحقاً نصف شهري، وكان هذا اللحق يحمل اسم فلسطين، وعبر جريدة الحرية التي اعتبرت في مرحلة لاحقة، الجريدة الناطقة باسم حركة القوميين العرب، كان غسان يرسل ثقافته المقاتلة باسم فلسطين إلى القومية العربية ذات شعار الوحدة والتحرر والاشتراكية، ومن جريدة الحرية إلى مجلة الهدف كان غسان ينادينا لعشق الأرض قبل تابين الشهداء في سبيلها..

لم يترك غسان خندقاً في ثقافته المقاتلة، إلا وحاول اللحاق به دون تخصيص، فقد التحم ميدان الصراع، قبل أن يقتحم ميدان السياسة، وقاتل في ميدان السياسة قبله في الفكر، ثم انطلق من الفكر إلى جناحيه في الأدب، وكان عطاؤه أوفى من أن ينفطي في آنية محكية أو مكتوبة، فإضافة إلى القصة الصادرة عن قلب عامر، طرق غسان ابواب البناء المسرحي، فكانت له أعمال ذات



شان، كما في مسرحيات: الباب، والقبّعة والنبي، وجسر إلى الأبد، وقد قدّم الأديب الكبير جبرا إبراهيم جبرا، لهذه الأعمال المسرحية التي صدرت عن مؤسسة الأبحاث العربية في العام ١٩٧٨.

لقد أعطى غسان للمسرحية الفلسطينية بُعداً إنسانياً وكونياً، إذ تطلّع لهاجس التوزع الإنساني بين ما هو عام وخاص، أي بين الفكرة الخطرة، وعائد العمل اليومي اللازم لحياة الإنسان وأسرته بمعيّته.. أما الموت وهو بعدٌ عالمي آخر، فيجعل له غسان، موازياً نقيضاً ألا وهو حب الحياة، إنها ملحمة الحياة الأبدية التي لاتتوقف:

(يا بني إنه إثم أن تولد، وألم أن تعيش، وبؤس أن تموت) وفي هذا كان غسان يساير بريخت في ملحمياته التي تجعل منّا، مراقبين بموقظة حبوية ترنو للثقافة العالمية، فضلاً عن سريان الحزن مع الدماء في عروق الإنسان.. حتى الأطفال، فقد كتب غسان نماذج غنائية لحكايات أجدادهم الغابرين، ففي كتاب بعنوان: أطفال غسان كنفاني، أصدرت دار الفتى العربي في بيروت، والتي تحمل شعار (المستقبل للاطفال)، ست قصص قصيرة من أعمال الشهيد غسّان كنفاني، وكانت هذه القصص تدور محاورها الرئيسية، حول الظلم الإجتماعي، وقهر الاحتلال، وروح التحدي التي لاتنطفئ جذوتها، في وجه الاغتصاب الإسرائيلي لتاريخ أمة وثقافة شعب.

أما القصة، فقد شَغَلت الشطر الرئيسي من حياة غسان الثقافية، فإضافة إلى «رجال في الشمس»، التي قد تكون من أشهر أعماله، هناك العديد من قصص غسان الموازية، مثل (العاشق) التي تمثل ملحمة شعبية كاملة، تستلهم تاريخ الكفاح الشعبي وتحاول تسجيله، فقصة العاشق في نهاية المطاف عند غسان، هي توحّد مُتبتل، واندماج مُنصهر، بين الإنسان والأرض، وفي قصته (موت السرير رقم ١٢ - مجموعة) يعبر غسان عن مشاعر النفي والعذاب، حين يصبح الإنسان رقماً يموت، وداخل هذه المجموعة القصصية في موت السرير رقم ١٢، نقع على سبع عشرة قصة أخرى، منها على سبيل المثال: (شيء لايذهب) حيث تقول محبوبته الحيفاوية الصغيرة، كلمات لاتنسى (باستطاعتك أن تغادر حيفا، أن تهرب من حيفا، لكنك في يوم لابد آت، ستصحو وستكتشف.. بل وستندم).

وفي (الأعمى والأطرش) يعود كنفاني إلى النغم الحزين، في رجال في الشمس، حيث يصبح الخلاص الفردي مستحيلاً، في قلب قهر جماعي لايبقي ولا يذر.. وفي (برقوق نيسان) يسترد غسان الوعي المفقود، الذي ما إن يحضر حتى يتحول إلى زند فاعلة (عندما جاء نيسان أخذت الأرض تتضرج بحمرة البرقوق الأخاذة، كأنها بدن رجل شاسع مثقب بالرصاص.. كان الحزن وكان الفرح.. تماماً مثلما تكون الولادة ويكون الألم).

ثم نقف عند درّة التاج في (رجال في الشمس) لنتصور مشاق الرحلة الفلسطينية هرباً من العذاب وبحثاً عن الخلاص، إننا نقع على هذا التجسيد، للخصوصية الفلسطينية في الشتات بعد النكبة، وأبطال هذه الرحلة في رجال في الشمس، ينتمون إلى أجيال ثلاثة: أبو القيس وهو مزارع فلسطيني خسر أرضه، يترك المخيم وزوجته وطفليه بحثاً عن الرزق في بلاد الله الواسعة، وأسعد وهو شاب فلسطيني مُطارد بسبب نشاطه السياسي، ومروان وهو فتىً غض الإهاب، لم يتجاوز السادسة عشرة من عمره، وقد تزوج أبوه ثانية ربما بسبب قلة العمل! فاورثه إعالة أمه وخالته وأخوته الصغار.. إنهم ثلاثة فلسطينيين لا يعرف أحدهم الآخر، وفدوا إلى البصرة العراقية في وقت واحد، ليعبروا الحدود إلى الكويت بصورة غير نظامية، إذ لاهوية!.. ولا جوازات سفر.. ولا ما يحزنون.. أما المُهرّب (أبو الخيزران) فكان سائق صهريج ماء.. واستقرّت الخطة إلى أن يركب الثلاثة بجانب (أبو الخيزران) حتى الوصول إلى ما قبل نقطة التفتيش بقليل، وباعتبار خزان الشاحنة فارغاً في الإياب من البصرة، فإن الثلاثة سينتقلون إلى داخل الخزان لحظة عبور نقطة التفتيش، وما حدث هو أن (أبو الخيزران) انهمك في حديث بليد، عن علاقات غرامية صارخة هنا وهناك، فيما حُرّاس النقطة يشجعونه على المزيد من الاستطراد.. وهكذا إلى أن أحرقت الشمس القائظة أجساد الثلاثة داخل الخزان، إذ ماتوا مختنقين.. ويلقي أبو الخيزران بالجثث الثلاث فوق أكوام القمامة على مداخل الكويت.. لقد حاولت الأجيال الثلاثة، عبور خط الفقر، بخلاص فردي، فكان موت الصحراء، موتاً مضافاً على الموت في المخيم.. ثم تنزلق الفكرة إلى دماغ أبو الخيزران الناشف:

ـ لماذا لم يدقوا جدران الخزان من الداخل؟!

وأسند رأسه فوق مقوده وجعل يكرر:

ـ لماذا لم يدقوا جدران الخزان، لماذا لم يقولوا، لماذا لم يصرخوا..

لم يدرك أبو الخيزران بحسّه المتبلد، أن شعب فلسطين، ما عتم يدق جدران خزانه الفلسطيني منذ مطلع هذا القرن، لكن أحداً من الجوار الفلسطيني العربي، لايريد أن يسمع!..

لقد سقط جسد غسان، لكن يراعه لم يسقط، سقطت الطفولة إلى جانبه، إبنة أخته الصغيرة، لكن نشيج الطفل الفلسطيني مازال يؤرق إسرائيل بل ويقض مضاجع هنائها ونومها المتقطع..

منذ سبعة وعشرين عاماً، سقط جسد غسان، لكن الكلمة، التي كانت هي البدء قبل الخليقة، لم تسقط، أما المشكلة فإن الكلمة لايثقبها الرصاص!.. ■■

غسان كنفاني
وانفتاح النص في القصص المبتور

عبد الكريم درويش

عام آخر تطويه مجلة «الهدف» من عمرها الحافل مواصلةً مشروعها الوطني/ التحرري، القومي/ الديمقراطي، الثقافي/ التنويري، الأممي/ الإنساني، الذي اختطته لنفسها منذ بواكير جريدتها التي أطلق شرارتها - في ذروة الصراع المصيري - غسان كنفاني. فقد كان مؤمناً بما للإعلام من أهمية مفصلية، كرافعة نضالية نحو ترسيخ الهوية الوطنية الديمقراطية للثقافة الفلسطينية المرتبطة بوشائج عضوية مع محيطها العربي، والمتفاعلة مع روح العصر وآفاقه الإنسانية.

لم يكن في تصور «الهدف» في ذكرى تأسيسها وذكرى استشهاد مؤسسها، أن تقيم قدّاساً أدبياً جنائزياً تأبينياً، أو أن تبحث عن بيبلوغرافيا كنفاني المتميزة أو في فكره السياسي الطليعي، بل كان هاجسها الملتهب أن تقاربه، في بعض نصوص قصصه علّها تضيف بالتحليل بعداً آخر من أبعاد الحداثة التي لاتزال تفتقر حتى الآن إلى التحليل الموضوعي في خطابها وخطاب روّادها. فقد جاء أدب غسان، ليبلغ من الصراع اقصى حدّته.

وليؤكد على الدور الحضاري للادب، إذ به تصل القصة القصيرة إلى الصفاء والصدق بعيداً عن أي ادعاء قاصر. وعاش الرجل مُنتحراً في نار الكلمات وريح الوطن. تماماً في نقطة التقاء النار والريح الحادة وعلى شفير هاويتهما العالية. تماماً في فوهة الأدب التي ضاقت لتعلن في ما بعد هذه المسافات الخطيرة لاستشهاده. فاين هي اليوم قصة غسان القصيرة عبر توقيعات ملحميتها المشدودة إلى تلك الدرجة القاسية من التوتر؟ هل هي قابلة على هذا المستوى من الصفاء المدهش، للانحلال في فضاء النص المتطور؟ لنا في قصص كنفاني بما يغطي تلك المساحة المُستقلة من السؤال..

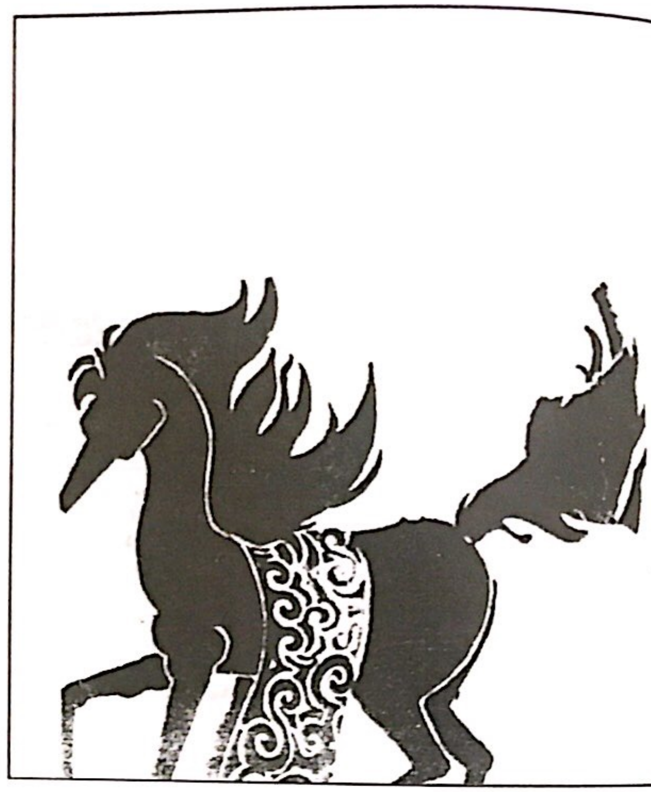
نقصد بالقصص المبتور القصص الذي لايُفضي إلى حسم. ففضاؤه الخاص هو ميدان المجابهة، وهو حين يشير إلى مستقبلها المتوقع فمن خلال هذا الميدان بالذات.

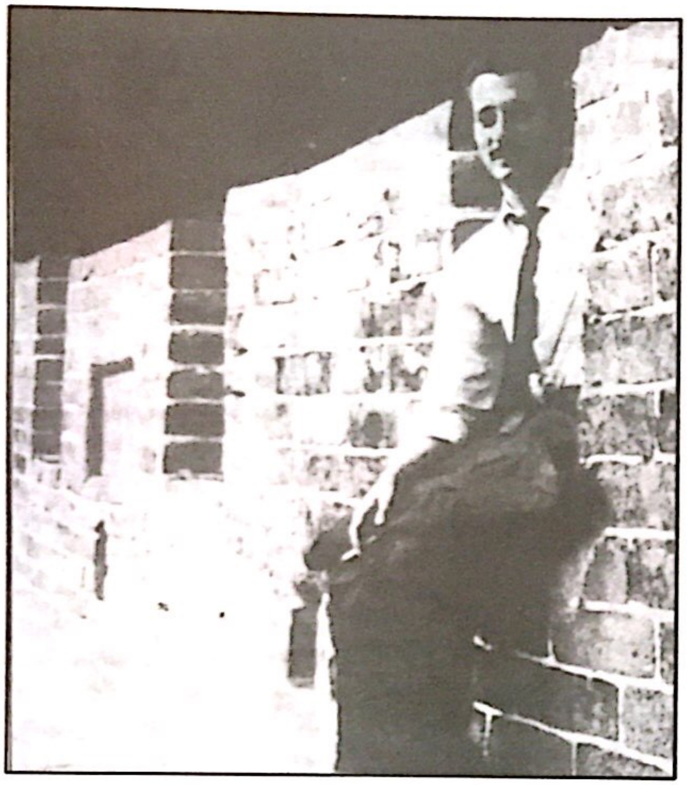
فيبدو القصص على هذا النحو ليس بدون نهاية وحسب، وإنما ايضاً مقطوعاً من سياقه المستمر، وهذا ما يعطيه طابعاً مزدوجاً، فهو قصص مفتوح من ناحية، وهذا الانفتاح ناتج عن بترٍ ما من ناحية ثانية. إنه القصص المبتور الذي لايدل على وضع بتعيينه معطياته الدلالية وحسب، بل يحمل أيضاً في تشكّله الهيكلي نفسه صورة عن هذا الوضع بالذات. فهو لايكتفي بإعلان بترٍ ما على المستوى الدلالي بلّ إنه كذلك هذا القصص الذي يتوقف أو ينقطع دون بلوغ ما أو انتهاءٍ ما، حيث أنّ العدوان مستمر والمجابهة مطروحة، فيبدو في النهاية شكلاً من أشكال العدوان القائم كما من أشكال مجابهته.

ليس لنا إلا النظر في الأقاصيص المقصودة هنا - فمن «ورقة من غزة» (١٩٥٦) إلى «ابعد من الحدود» (١٩٦٢) ليس هناك من أقصوصة فلسطينية لايشكل اعتداء ما بدايتها أو محورها الأساسي، ولايتوقف فيها القصص تاركاً الباب مفتوحاً لاحتمالات عدة، حيث الأسئلة معلّقة أو الأجوبة منتظرة أو التوقعات مرتقبة.. لتوضيح ذلك نتناول بعضاً منها مراعين في اختيارها تغطيتها لسنوات الإنتاج المعنية.

- في «ورقة من غزة» (١٩٥٦) تبدأ الرسالة التي تشكل الصيغة السردية لها، من إعلان موقف تبين الحكاية انه ناتج عن «ضرب اليهود» لغزّة «بالقنابل واللهب» مما ادى إلى بتر ساق نادية ابنة اخ الراوي..
- أما في «إلى أن نعود» (١٩٥٧) فيشمل اعتداء «اليهود» على قرية في النقب، وشنقهم لزوجة أحد الفلاحين عارية على مرأى منه بعد تعذيبهما، الخلفية المباشرة لتحوله إلى فدائي يسعى للانتقام وتحرير أرضه.
- في «الرجل الذي لم يمت» (١٩٥٨) يشكل بيع «الأرض لليهودي» محور الأقصوصة التي تذكر بوضوح أن هذا البيع «كان سبباً من أسباب نكبة الفلسطينيين، شكلاً من أشكال العدوان عليهم، كما تسرد ما نشأ عن ذلك مباشرة من مجابهة يجرح فيها البائع ويقتل أحد أبناء الفلاحين».
- بينما يشكل تساقط فلسطين ومقتل رجلها في ليلة هجوم مروّع لليهود على قرية الراوي «البومة في غرفة بعيدة» (١٩٥٩) بداية الحكاية ومحورها الأساسي.
- وتنطلق الرسالة التي يتمثل فيها قصص «منتصف أيار» (١٩٦٠) من مقتل صديق كاتبها على يد واحد من «اليهود في حقول مستعمرة أنشؤوها»..
- كما يمثل حضور الجندي الأجنبي بسلاحه للإقامة في القرية في «السلاح المحرم» (١٩٦١) نوعاً من الإعتداء على قيم أهلها وتحدياً لمفاهيمهم، وهو الركيزة التي تعتمد في انطلاق القصص هنا ويكون سبباً في مقتل خاطف بندقيته..
- اخيراً لايحول الطابع الرمزي لـ «الأخضر والأحمر» (١٩٦٢) دون تاكيد هذا العدوان الذي تخضع له الشخصية الأولى في هذه الأقصوصة متمثلاً في أظافر «الموت» العشرة التي تمزقها فيكون القضاء على هذه الشخصية صورة البتر الفجّة والمفجعة الذي يتردّد باستمرار».

إن انماط البتر المتعددة التي تقدم الأقاصيص التي جئنا على ذكرها اعلاه بعضاً من نماذجها لاتشكل في أي منها ولا في سواها نهاية للقصص، بل يمكن القول أن أياً منها لايتمتع بنهاية ما، إذ





تنفتح جميعاً في انبتارها هذا على احتمال غالباً ما تشير إليه أو توحي به. وربما كان انفتاح البنية القصصية هذا على بعدٍ مستقبلي هو ما يحول دونها ودون الوقوع في مأساوية تفترض إلى جانب المعاناة الرهيبة التي تعرفها بعض الشخصيات انسداد الأفق وانغلاقه أمامها في ظلّ عجز مريع وتدمير داهم. فرغم ما يحيق بهذه الشخصيات من أذى ودمار، وبغض النظر عن دورها الخاص في مجابهتهما، فإن القصص يتوقف لا ليعلن نتيجة أو نهاية لذلك، وإنما ليضيء وجهة أخرى أو مشروعاً آخر يقوم على تخوم ذينك الأذى والدمار. وغالباً ما يجعل هذاالوضع هذين الأخيرين يأتيان في سياق قصص داخلي يتضمنه القصص الإفتتاحي أو يتجاوزه بشكل أو بآخر.

ـ لذلك نجد رسالة «ورقة من غزة» تتوصل إلى سؤال لاتجيب عنه مباشرة (لماذا لم تهرب نادية ولم تنقذ ساقها التي بترها القصف؟) وإلى دعوة كاتبها صديقه لكي يبحث عن نفسه «بين أنقاض الهزيمة البشعة»، هي دعوة للعودة إلى غزة ينتهي القصص بإعلان انتظار تحقيقها..

ـ أما في «إلى أن نعود» فيتوقف القصص عند جواب مشروع على فعل مرير يحمل إرادة الانتقام من «اليهود» الذين قتلوا الزوجة واحتلوا الأرض..

ـ ولا تبعد الإشارة الأخيرة في «الرجل الذي لم يمت» عن هذا الموقف في تأكيد المرأة لنفسها أنها ستعود إلى أرضها التي باعها الاقطاعي لليهود، وسيكون ذلك خير انتقام منه («أقسى من الموت») ومنهم..

ـ ويشكّل السؤال الذي يصدر من «البومة في غرفة بعيدة» في آخر هذه الأقصوصة انفتاحاً على جواب يرسم غضب سائله وحدّة طرحه بعضاً من احتمالاته، ليس الاقتراب من أرض «البطولة والموت» إلاّ واحداً منها..

ـ وتنتهي «منتصف أيار» بإعلان إصرار كاتب الرسالة على العودة إلى الأرض التي خسر فيها صديقه، وقناعته أن ذلك لايتم إلا عن طريق قتل أولئك اللصوص الذين سرقوا «كل شيء»..

ـ وإذا كان نص «السلاح المحرّم» ينتهي مبتوراً مع عملية القتل التي يتعرض لها خاطف البندقية، فإنّ الأقصوصة على مستوى الحكاية تبقى في نهايتها عبر الأسئلة المتداولة من قبل معارف القتيل حول ظروف اختفائه، وعبر اهتمام ابن القتيل بذلك، مفتوحة متعددة الإمكانات.

ـ أمّا في نهاية «الأخضر والأحمر» فإعلان صارخ بالانتقام الذي على الإبن القيام به لأبيه القتيل، ودعوة حثيثة له بالتحضير لنزال أعدائه الذين يتربصون به.

انفتاح النص على هذا النحو إذن هو انفتاح الصراع الذي يفرضه عدوان وقح وسافر يشكل منطلق القصص وركيزته الأولى بقدر ما يشكل بتراً في وضع ما. فعالم ما قبل العدوان هو عالم الطمأنينة والدعة، عالم الطفولة والبراءة، عالم الحب والغرام ومشاريع البناء والزواج، عالم سلام يأتي العدوان فيخلخله أو يدمره. ومن هذه القطيعة بالذات يبدأ القصص وإلى عالم سلام مماثل للقديم ينزع، محاولاً الخلاص من عالم ظالم قائم، وبلوغ عالم الحق والعدالة والكرامة، مقيماً قطيعة ثانية بين الوضع السائد والوضع المنشود. عند هذه القطيعة بالذات يتوقف النص ومنها يطل على الأفق الموعود. ليس القصص إذن في بدئه وفي سيرورته، كما في نهايته إلا قصص البتر والقطيعة بامتياز، على تناقض بين البداية والنهاية، بين بتر وآخر، بين بتر مفروض حاضر وآخر منشود متخيل قادم. وعلى شاكلة الحلم الذي ينقذنا في قلب الليل، فإن الأمل الكنفاني يسمح لنا بتحويل الهزيمة إلى نقيضها. فهل يكون ذلك ما تكهّن به «ألبير بيغان» من قفزةٍ في المجهول؟ هل يكون الثمن جحوداً بالحاضر؟ ربما، ولكن، أفلا ينتمي الأمل الكنفاني كما الحلم الغساني إلى عالمنا! ثم ألا يعني إصرارنا على تغذية الـ «بتر» وفي جوانبه الأكثر انتماءً إلى الأرض الزرقاء كالبرتقالة أن ننشد مع بول إيلوار:

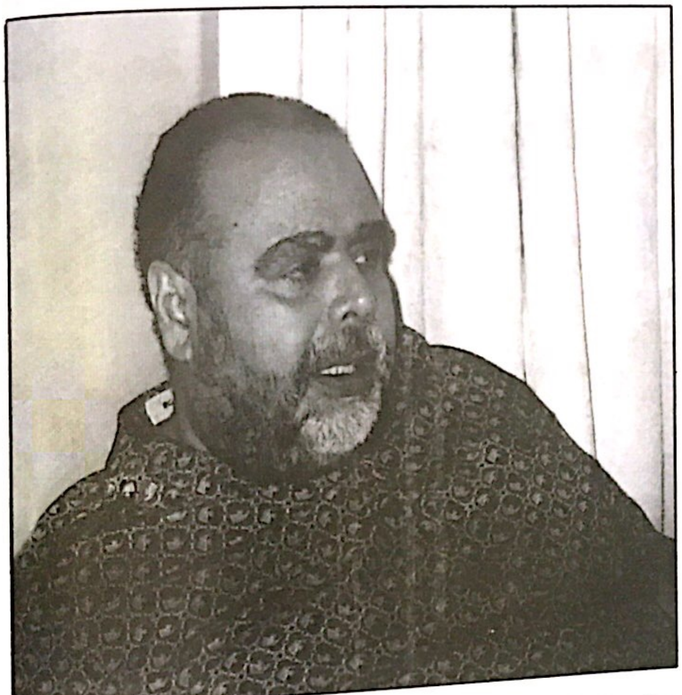
وأما أنا فإنني أفضّل أن أتغذى

من أملٍ بتوقدٍ لايموت ■■

المفكر العربي نصر حامد أبو زيد لـ "الهدف":

"هناك أمل، ودائرة الحصار لن تكتمل"

أجرى الحوار: أحمد جابر وعبد الكريم درويش



عندما طلبنا من المفكر العربي الكبير نصر حامد أبو زيد حوارا يخص به قراء مجلة الهدف، أجاب بعفوية أهل الكنانة وكرمهم البالغ «من عنيه»، وتذكر فوراً موقف الهدف وكلمتها في قضيته دفاعاً عن الحقيقة والحرية.

يجمع الأستاذ أبو زيد في شخصيته بين الأكاديمي الباحث المسك بالعلم ممحصاً ومثابراً، في نزاهة وصدق واستقامة وتماسك، وبين المواطن العربي الطيب، بل الفلاح المصري المرح الذي يعرف كيف يمسك بالحقيقة دون تكلف وكيف يسخر دون فجاجة وينتقد من دون حقد.

وكان هذا الحوار ـ النقاش على مدى ساعتين من الزمن، بدت ضيقة جداً مقارنة بحجم أسئلتنا وهواجسنا، والذي حاولنا فيه الإحاطة بالقضايا الأشد جدلاً في الساحة الفكرية العربية، نقدمه لقرائنا الأعزاء، مساهمة في تعميق الجدل والحوار الديمقراطي البناء والقبول بالرأي الآخر على قاعدة الديمقراطية وحق الاختلاف. فهل نجحنا؟

■ افتتحت كتابك «النص، السلطة، الحقيقة» بأن خطاب النهضة، خطاب ملفق كونه تابع من خطاب الآخر، ما أدى إلى قراءة تلفيقية موجهة إيديولوجياً بدورها، ومن ثم إلى قراءة جديدة ملفقة أنتجها خطاب النهضة عن التراث الإسلامي، والآن يبدو أن الواقع الفكري العربي يعيد إنتاج الأزمة ذاتها، وينتج خطاباً جديداً مسكوناً بدوره بخطاب الآخر، كون معظم النقاشات الفكرية مصدرها الشكلي على الأقل الغرب: العولمة، المجتمع المدني، الديمقراطية، والاستشراق، وحتى التطرف ذاته، نأخذ المادة الأساسية من نقاشاتنا حوله مما يقوله الآخرون.

برأيك ماهي المعايير اللازمة للخروج من مازق التبعية هذا؟ بل هل هي تبعية،، هل هي لازمة؟ ضرورية، أم ملفقة من نخبة ثقافية مدعومة بنخبة أخرى سياسية واقتصادية تكمن مصلحتها في هذا التلفيق بالذات؟

□□ سأتفق معك في توصيف الأزمة، وأخالفك في الحكم عليها وتقييمها، فهي فعلاً أزمة ولكنها لاتمثل تبعية، إنما هي أزمة من يحاول اختراق التبعية أو الخروج من دائرتها ولكنه يقع ميكانيكيا في تبعية من نوع أكثر رقياً كونها لاقصدية.

ومشكل النهضة ـ وأنا مازلت أعمل في الموضوع لأنه شديد التعقيد ـ يكمن في التحديات التي فرضها الخطاب الغربي، إضافة للتحديات العسكرية والاحتلال، إضافة إلى محاولة سجن العالم العربي والإسلامي في الإسلام، وقد أخذ التحدي الشكل التالي: إن التخلف في العالم الإسلامي يفسر بالعالم الإسلامي ذاته، أي بسبب الإسلام، فهو متخلف لأنه مسلم، وبالتالي كانت الإجابة على التحدي القبول بمنطقه نفسه، ولم يختبر المنطلق الجوهري في التحدي: هل الإسلام هو المسؤول عن التقدم والتخلف، أم أن التخلف والتقدم لهما قوانين في الحياة الاجتماعية والسياسية والتاريخ والثقافة، وليس فقط في الدين؟ هذا التحدي لم يختبر، ونجد أن محمد عبده أوشك أن يفلت مما أسميه (المصيدة) عندما قال: لاعلاقة بين المسيحية والتقدم لأننا لوحكمنا على مسيحية أوربا لقلنا أنها تم التخلي عنها، لأن المسيحية كجوهر دين يقوم على الطاعة والخنوع ومقولة من «ضربك على خدك..الخ». فكيف أصبحت أوروبا تمتلك القوة العلمية والتكنولوجيا وتتزعم العالم؟

محمد عبدو لم ينقل قياسه هذا إلى الإسلام، فاعتبر الإسلام هو التقدم، فموقفه تقدمي من جهة لأنه لم يقبل فكرة أن الإسلام مسؤول عن التخلف ولكنه في دفاعه عن الإسلام قال أن الدين هو ما يحدد التقدم والتخلف، هذه المصيدة ما زلنا بها بشكل أو بآخر، ولايزال التحدي الأوروبي، يوقعنا في مازق معرفية.

■ ماذا عن المقولات المطروحة علينا..العولمة مثلا؟ والنظام العالمي الجديد وغيرها؟

□□ نحن لا نختبر المقولات المعرفية التي يطرحها الغرب، فالغرب كما قلت يطرح مقولات العولمة، ثقافة واحدة عالم واحد..الخ، ونحن لانتأمل بما في هذه المقولات من عناصر صواب وخطأ ومافيها من عناصر إيديولوجية المقصود بها السيطرة والهيمنة، مثلا هناك جزء من العولمة أي الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحقوق المرأة والأقليات، لانستطيع إدانة الغرب حولها، فهذه قيم نحتاج لإقامتها في مجتمعاتنا، وتبني الغرب لها لايعني أن تتحول إلى قيم مكروهة، والعولمة كحالة اقتصادية أصبحت واقعاً، أي هل هناك دولة قادرة على التمرد على قوانين (الغات)، وهل هناك مايسمى مشروع تنمية اقتصادية مستقل، المجتمعات العربية الإسلامية جميعها دخلت في السوق الاقتصادية وفي قوانين السوق العولمية، ثم العولمة السياسية، حرب البلقان هي محاولة لإعادة صياغة العالم عن طريق وجود قوة كبيرة

تحدد ماهو الصواب وماهو الخطأ في أي مكان في العالم، ونحن هنا بحاجة لتأمل هذه المسألة، فهنا عالم يتشكل لايوجد نظام عالمي جديد، هناك نظام عالمي جديد يسعى إلى التشكل، وفي التشكل نحتاج أن نصبح جزء منه؛ آسيا، اليابان تحاول ذلك، أي أن تكون جزءاً من بنية هذا العالم وليس هامشاً من هوامشه، يخضع للإرادة الأمريكية التي تسعى لإلحاق أوربا بها أيضا، عالمنا العربي والإسلامي ممزق، والآن لا حيلة للعالمين في هذه العولمة، العرب بإمكانهم إن يمثلوا قوة في العالم الجديد، ولكن من الواضح انه لايوجد هناك أي حركة نحو الإمساك بأسباب هذه القوة، لأنه لايوجد دائرة عربية متكاملة فلا يوجد علاقة بما يسمى بالدائرة الإسلامية. هل هناك علاقة بين الجزء الآسيوي من العالم العربي بآسيا، وهل هناك علاقة بين الجزء الإفريقي بإفريقيا، لأن العالم من الممكن أن يكون كيانات متداخلة ومتعاونة في نفس الوقت، ليس كيانات مستقلة، والإمكانات المتاحة للعالم العربي في علاقته بالدائرة الإسلامية والجغرافية والديمغرافية كبيرة جداً، فالامتداد الآسيوي من جهة والإفريقي من جهة أخرى يمكن أن يشكل قوة ليس فقط اقتصادية، قوة هائلة تعيد ترتيب النظام العالمي الجديد، وتكون الأقوى في هذا العالم، أين نحن من كل هذه المشكلات. أضيف أن العالم العربي الذي تخلص من الاستعمار استضاف استعماراً جديداً بإرادته الحرة المستقلة! فطلب الحماية من أمريكا، وأمريكا موجودة في المنطقة وموجودة بتكلفة عربية وليس على حسابها الخاص، لدرجة دفع قيمة أدوات الزينة لفتيات المارينز، ونحن نهاجم العولمة، لأننا لا نستطيع التفريق بين عناصرها المختلفة، العناصر التي أصبحت قانونا، والعناصر التي في سبيلها إلى التشكل والتي يمكن أن نساهم في تشكيلها، برد فعل مباشر هو ذات رد الفعل الذي صدر عن محمد عبده، أي التعبير عن الخوف من العولمة، والتعبير عن الخوف من الثقافة، وهنا أرى انه يجب التمييز بين ثلاثة مستويات من الثقافة، مستوى الثقافة العليا، ومستوى الثقافة الشعبية وبينهما الثقافة الشائعة.

العولمة تعمق الثقافة العليا، انت تجد على الإنترنت شكسبير وغوته وليس فقط الأشياء الأخرى كالجنس وغيرها، طبعاً كل شيء موجود، أي على مستوى الثقافة العليا تسرع العولمة في تسهيل التفاعل بين الثقافات، وهو تفاعل بدأ منذ بداية البشرية، هذا أمر، الثقافة الشائعة نحن من يستوردها بالأحرى أبناء الطبقات الطفيلية التي نمت في أجواء الانفتاح، من قال أن أمريكا تفرض عليك الكنتاكي تشيكن أو الكوكاكولا أو موسيقى الجاز أو غيرها، هذه ثقافة شائعة ولاأحد يفرضها، إنما الطبقات الجديدة في العالم العربي وهي كما قلت وصلت إلى ثروتها عن طريق السمسرة، هؤلاء يستحضرون هذه الثقافة، ويمكن طبعاً مقاومة هذا النوع من الثقافة لوكانت هناك أنظمة وطنية تنشىء بنى اقتصادية تقوم على العدل بين المواطنين.

أعود إلى الثقافة الشعبية، أي الفلكلور، هناك إهمال لدراسة الفلكلور بالمستوى الأكاديمي وهذا يؤدي إلى ضياع الفلكلور، والذي هو الذاكرة الجماعية، إما أن يتحول إلى تجارة أو سياحة دون التعمق بدراسته، وهذا بعيد عن التأثر بالعولمة، إلا إذا حلت محله الثقافة الشائعة التي نشكو منها، وكذلك - للعلم - يشكو منها الأميركان.فالعولمة بجانبها الإعلامي مثل اختراع التلفزيون، يمكن أن تكون نوعاً من أنواع التثقيف أو أداة لتخريب الوعي، طبعاً جزء من هذا المأزق يعود إلى ضعف ثقافتنا ودرجة الأمية العالية، وعدم تحصين المواطن العربي بثقافة تجعله قادراً على الاختيار، فهو أرض مستباحة.

إدانة العالم لأنك ضعيف مسألة تحتاج إلى مراجعة، لاأعني أن العولمة شيء إيجابي، ولكن شأنها شأن كل التطورات في الحياة المعاصرة تتضمن مخاطرها وهذه المخاطر أيضا لاتعني أنها منظومة فساد.

■ تطرح العولمة فكرياً، مناهج متعددة، هذه المناهج يأخذها مثقفونا وباحثونا، ويستخدمونها كقوالب بعيدة عن تعيينات الواقع وتستخدم في دراسات القرآن وتفكيك التراث وتسليط الضوء على ظاهرة ما، مثلاً الجابري يستخدم مجموعة من المصطلحات، ففي كتابه «العقل السياسي العربي» استخدم مفردات اللاشعور السياسي، والكتلة التاريخية، ومفهوم المخيال الاجتماعي، أركون أيضا فعل هذا، والاستاذ نصر حامد استخدم المنهج الأدبي في إطار إضاءات جديدة على القرآن، فإذا كانت أزمتنا في الستينات والسبعينات والثمانينات بين المفكرين والباحثين تقوم على صراع المناهج وتطاحنها، أي التركيز على المنهج أكثر من الواقع المدروس أو الظاهرة، والمنهج هو وسيلة لإضاءة الواقع بينما تحول إلى العكس صارت الظاهرة المعنية بالدرس هي الوسيلة لإثبات صحة منهج ما، ونجد كل التنظيرات هي لإثبات صحة المنهج والدفاع عنه بدلاً من الظاهرة المعنية. ألا يجب أولاً الخروج من هذه المشكلة للوصول إلى الجديد بغض النظر عن الأدوات، وهل المشكلة في الأدوات ذاتها؟

□□ لا، المشكلة ليست في الأدوات، وقد أثرتم عدة قضايا: أولاً هل المنهج المفترض يعني أن أستحضر دريدا والتفكيكية وأعمل عليها..مثلاً، ومالفرق بين المنهج كرؤية للعالم، والمنهج كمجموعة أدوات؟ والسؤال هل يمكن اقتراض المنهج وتطبيقه بشكل ميكانيكي وعشوائي على المادة، وهل نقبل هذا المنهج ولانقبل غيره؟ طبعاً علي أن أحدد منهجي لكي أبدأ العمل، بالنسبة لي، لم أكتب، ولم أشغل نفسي بمشكلة المنهج على مستوى التأصيل النظري، لأنني اعتقد أنني لم أحضر منهجا من الخارج، طبعاً هناك أدوات متداخلة، لا أستطيع الإنكار، ولكن أنا أفضل الدراسة الأدبية للقرآن التي هي تاريخ دراسة القرآن، أي أنا لم أحضر منهجاً غريباً عن القرآن، لأن دراسة القرآن في التفاسير والفقه، وبشكل أو بآخر توظف أدوات ما أصبح الآن يسمى بالمنهج الأدبي، أدوات التحليل اللغوي واكتشاف الدلالة ومستويات الدلالة..الخ؛ فالمنهج الأدبي له جذور تراثية وله أيضا أنه أخذ الجذور التراثية في سؤاله، وهنا لماذا احتجت ان أدافع عن المنهج الأدبي؟ لأنه هوجم، ليس المنهج ولكن هوجمت تطبيقات المنهج من دون أن يقوم أحد من المهاجمين، وهم أكاديميون بتعليل المنهج نفسه لذلك أنا مضطر أن أوضح ماذا أفعل بالضبط وماهي الأدوات التي استخدمها، وأنا شديد الحساسية لقبول أن منهجاً ما يكون صالحاً لكل شيء، هذا غير صحيح.

ومن جهة أخرى اختلف معك في مسألة تضارب المناهج لأن التضارب هو في انتماءات سياسية وايديولوجية تعبر عن نفسها أحياناً كما لو كانت اختلافات في المناهج، وهي ليست كذلك، انظر مثلاً لمنهج الماركسيين في فهم الواقع بشكل عام، والقوانين الإسلامية تجدهم جميعاً يعتمدون منهجاً أخلاقياً حتمياً، فمن يضع الاقتصاد ويبني عليه يصنع حتمية في العلاقة، ومن يضع الأثنية ويبني عليها يصنع حتمية، دون إدراك إن المسائل أعقد من هذا التبسيط، فكان هناك تبسيط نتيجة لغلبة هذه الأيديولوجيات، أعتقد أنه الآن قد تشكل وعي بهذه المسائل، حيث خفت حدة هذه التيارات التي تحصر نفسها ضمن يافطة معينة.

ستجد طبعاً أن النقد الأدبي أشبه بسوق، لأن نقاد الأدب يختارون أدوات أحيانا بدون إدراك أصولها المعرفية، مثلاً البنيوية وعلاقتها بالانتربولوجيا، نجدها غير واضحة عند تطبيقها على الأدب فهي أصلا منهج انتربولوجي، أي تأسست في الانتربولوجيا، وهذه كلها ظواهر لا أقول سلبية مطلقاً، لأنه في ثقافة يغيب فيها أحياناً التنظيم نحتاج للكلام عن المنهج.

■ تعتبر إذن أن أدواتك متحركة في علاقتها مع التراث؟

□□ نعم، أحياناً عندما أقرأ كتاباً في المنهجية الحديثة لاأفهم شيئاً، وأقول ذلك بدون حرج، دون التقليل من أهمية الكاتب، ثم بعد ذلك أقرأ كتاباً في التراث فيضيء مالم أكن قد فهمته من قبل، ثم أعمل تنزيلات من بنية المنهج على مادة أخرى، ويحدث أنك ترى مفردات هذا المنهج وتتساءل أين قرأت هذا الكلام، في الكثير جداً من المصادر الأجنبية وليس الموضوع أنني استخدم المصادر دون أن أذكرها، إنما لأنني قرأت هذه المصادر وتداخلت وانصهرت بغيرها، مثلا أنا من أشد المعجبين بعبد القاهر الجرجاني، وأعرف أن قراءتي له ماكان من الممكن أن تكون بهذا العمق بدون قراءتي في الأسلوبية والسميولوجي وغيرها. طبعاً هذا لايعني أنني ضد من يقتبس من منهج معين إذا كان يطور هذا المنهج دائما، ولايقف عند معطياته الثابتة وعند أدواته الكلاسيكية.

نحن جميعاً نعيش قناعات معينة، ولكن قناعات الباحث يجب أن لاتبقى ثابتة مائة بالمائة بحيث تقبل نقد ذاتها ونقد المنهج الذي ترتبط به طوال الوقت وإلا ستصل إلى الجمود.

■ سلطة النص وعلاقة المثقف بالجمهور،نلاحظ أن سلطة النص

تعيد إنتاج نفسها ليس فقط في النص الديني المقدس ولكن في سياقات أخرى ونصوص تدعي القداسة بشكل ما، في الثقافة والبيان السياسي والشعارات الاجتماعية، حتى في نظرية السوق التي صارت شعاراً مقدساً، نجد أنفسنا أمام مجموعة من الحلقات المترابطة يجمع بينها تحالف معين، مقدس أو غير مقدس، لست أدري، كيف يمكن فكفكة هذه الحلقات، تجريدها من أسلحتها، إذا كان هناك طريق ما، وهل الحوامل الاجتماعية لهذه الحلقات هي نفسها أم تختلف، خصوصاً أننا نجد نزاعاً بين المثقفين وحملة الأفكار حول جميع هذه القضايا.

□□ اعتقد أن غياب الديمقراطية والحرية هي المسؤولة عن فكرة عبادة النصوص، وغياب الديمقراطية والحرية هو تاريخي منذ نشأة الدولة الأموية وقبلها، أي توجد سلطة تأتي بمشروعية زائفة وهذه السلطة تؤسس مشروعيتها على نص ديني، أو ثوري، وكلها نصوص، وبالتالي فإن من أدوات محافظة السلطة على مشروعيتها أنها تعيد باستمرار إنتاج أهمية النصوص وهذا تجده دائماً منذ الإمام الشافعي.

وهذا كله مرتبط بحق الناس بالاختيار والحرية، وعلى مستوى تكتيكي أصبح الصواب الديني مرتبطاً بأربعة أشياء كلها نصية: القرآن والحديث والإجماع والقياس فإنتاج المعرفة الدينية أصبح محصورا بالنص وبالتالي جميع أنواع المعارف، وصيغت في مرحلة الإمام الشافعي شمولية النصوص، التي تضع حلولا لكل المسائل.

وما أقوله أننا يجب أن نكسر سلطة النص، وهذا لايعني أن ألغي القرآن، لأن هذه سلطة أضيفت على القرآن، طبعاً لكل نص سلطته أصلا، ولكن أن تتحول السلطة الدينية إلى سلطة معرفية شاملة لكل مناحي الحياة فهذا من صنع البشر، ومقاومة سلطة النص هي مقاومة لما صنع البشر.

أما التنازع والخلاف، فمرده لعدم وجود حوار، لماذا يريد أحد أن يقتل أحداً ما، السبب غياب الحوار في المجتمع.

عندما كتب إسماعيل مظهر في العشرينات كتابه الشهير(لماذا أنا ملحد) وعمل بحثاً مهماً لم يطالب أحد بقتله، ورد عليه أحد المشايخ بكتاب آخر(لماذا أنا مؤمن) فاصبح هناك قاعدة ليس للنبذ والاستبعاد وإنما للحوار، هذا حدث في بداية عصر النهضة، وفي القرون الإسلامية الأولى قدمت القوى الفكرية نفسها في حوار تحول عنيفاً أحيانا؛ الغزالي مثلا، هاجم الفلاسفة في كتاب، ولكن لم نسمع عن فيلسوف قتل لأنه تفلسف، عدا الحلاج ونحن نعلم انه قتل لأسباب سياسية، وفي الأندلس تعايش الجميع في مجتمع واحد، مسلمين ومسيحيين ويهود المسألة ليست قضية أن الإسلام يفرق بل السياق الاجتماعي هو الذي يفرض ذلك.

أعطيكم مثلاً آخر، عبد الناصر قاد نظاماً نموذجاً للديكتاتورية السياسية، ولكن داخله كان هناك حرية فكرية، السادات عمل ليبرالية دون حرية فكرية، فهنا تراكبت المسائل، كلما كان هناك حوار في المجتمع، قلّ العنف، ويتولد العنف عندما تغيب أدوات التعبير.

النزاع بين المثقفين مرده إلى نفس الشيء، فمن المزعج جداً على سبيل المثال هذا النزاع الدائر بين محمد عابد الجابري وجورج طرابيشي، لان السياق غير صحيح فبعد أن كنا أمة عربية وشعب واحد..الخ تحولنا إلى طوائف، ونموذج لبنان والحرب الأهلية يؤكد ذلك.

الطائفية تفرض التقاتل حتى لو كان بالفكر، والعنف الفكري أسوأ من سواه أحياناً وأراهن انه ليس فقط الإسلاميون عندما يصلون إلى السلطة سيلغون الديمقراطية، بل كل الفرق السياسية مستعدة لدخول النادي الديمقراطي حتى تصل للحكم ثم تحاول الانقلاب عليه. ولايوجد مناخ عام يؤسس لقيمة الحرية، بحيث لاتقتل الآخر لانه يختلف معك، لأنه ملحد مثلا، وماذا سيؤذي الإسلام إذا ارتد شخص ما، وكيف أفهم الناس أنك حر في أن تدخل الإسلام أو لا، فإذا دخلته فقدت حريتك، هذا يناقض منطقيا فكرة الإسلام أن الدين اختيار و «لا إكراه في الدين»، سلطة النص تصنع مرجعية تثبت في ذهن الجماهير، فالناس يعتقدون أن للنص نفسه مرجعية قائمة على التفسير والتأويل.

■ الدولة الأموية والعباسية، بعلاقتهما بحدث التدشين الأصلي، بدأ هذا الحدث شكلا على أساس الدين ولكن في الجوهر جاء سياسيا بسبب غياب الحضور العربي عن الساحة العالمية، وهنا اتحدت العناصر، في بواكير الدعوة، حيث لم يكن الفصل بين الدين والدولة والأمة موجوداً، ثم جاءت الدولة الأموية وبحثت عن سلطة سياسية بمرجعية دينية، تعتبر نفسها أنها تمثل هذه السلطة، مارأيك بهذه المسألة؟

□□ اختلف معك، لأن هذه القراءة قراءة بأثر رجعي، أي نقرأ التاريخ ونبحث عن تبريره، لاشك أن هناك أبعاداً سياسية للمشروع الإسلامي، هناك فرق بين أبعاد سياسية ودولة بالمعنى الأيديولوجي، ولاشك أن المشروع الإسلامي هو مشروع في جوهره يهدف للانتقال من علاقات القبيلة إلى ما يسمى علاقات الشعب والأمة ويتجاوز علاقات الانتماء القبلية، أي الجاهلية، والجاهلية لاتعني الجهل بل العصبية القبلية، ومن هنا لعنة الجاهلية في القرآن وأحاديث الرسول، هي لعنة هذه العصبية. وبالتالي تجاوز بنية اجتماعية أصبحت معوقة للتطور - وأنا هنا أستخدم منهج التحليل الماركسي - لأن النزاع بين القبائل كان سيؤدي إلى الفناء، لذلك اخترعوا الأشهر الحرم، أوقفوا الحرب لكي تستمر التجارة، وقد شهدنا شيئاً من هذا أثناء الحرب الأهلية في لبنان، فالحياة استمرت، لأن الحرب والفناء تخلق في المقابل نقيضها، أي آليات لاستمرار الحياة. كان هناك نظام معوق، والبنية الاجتماعية التي أوجدها الإسلام، هي ضد البنية السابقة، ولم تكن لتأسيس أمة، نستطيع أن نسميها مجتمعاً لا يقوم على القبيلة باعتبارها وحدة أساسية، ولكن على أساس الدين، ومن هنا بدأ الانقسام بين جماعة المسلمين وجماعة غير المسلمين وهذا طبيعي.

الإسلام مشروع سياسي، وهذا صحيح والمؤشرات في القرآن واضحة، وهو مشروع إنساني، ولكن النص يفسر بشكل خاطئ أي «اقتلوا المشركين أينما ثقفتموهم» أعطني مثالا واحداً قتل فيه المسلمون جميع المشركين، لم يحدث حتى عندما دخل الرسول مكة فاتحاً، أي أن معنى النص لا يوازي حرفيته، بل هو تهديد، ضمن أزمة في لحظة تاريخية معينة، «حتى يعطوا الجزية وهم صاغرون» الجزية مسألة سابقة على الإسلام، فالدولة الرومانية كانت تأخذ جزية الرأس ولم يخترعها الإسلام. وهذه كلها مؤشرات تقول أن المشروع الإسلامي مشروع يتجاوز العصبية القبلية والقومية، لأنه لا يوجد كلمة «يا أيها العرب» في القرآن، نجد «يا أيها الناس» و «يا أيها الذين آمنوا» بعكس التوراة حيث الخطاب لبني إسرائيل أي القبيلة.

وهذا المشروع الإنساني يتخلق في مناخ ولا يحدث فجأة، وهذا ماحدث في السقيفة أن قريش استولت على هذا المشروع، إنها فهمت وهذا طبيعي أن محمد قرشي، وكل هذا المجد لقريش، وهذا ماصاغه الإمام الشافعي فيما بعد.

■ في لحظة معينة من القرن السادس اجتمعت القيادة السياسية والدينية إلى أي مدى تتكرر هذه اللحظة في القرن العشرين.

□□ طبعاً نحن لا يمكننا إسقاط الحاضر على الماضي، محمد كان نبياً وقائداًللمجتمع، صحيح ولكنه كان دائما حريصا على صفته كنبي، يرفض أن يعامل كملك أو كشخص مميز، هذه مؤشرات أشار إليها علي عبد الرازق، بأن الزعامة الروحية هي التي أعطت الزعامة المجتمعية وليس السياسية.

ولو كان زعيماً سياسياً لعين خليفة، هل تتصور قائد دولة وهو على فراش المرض، يطلبون منه أن يكتب كتاباً ويرفض، لو كان في ذهنه إقامة دولة تقوم على أساس ديني لوضع قواعد وأقام شخصاً، لكنه امتنع عن ذلك وهو في وعيه، عندما قال لهم «لأنتم أشد عليّ من مرضي».

■ أي أن الفاعلين الاجتماعيين في الإسلام هم الذين بنوا الدولة.

□□ نعم، أعتقد ذلك مستندا إلى النص، والى حياة الرسول ذاتها، وهذا ما يتفق عليه السنة والشيعة معا، أي لا يوجد قصدية لإنشاء مشروع سياسي، كان هناك مشروع بالمعنى العام، ولكن ليس دولة قائمة على الدين.

والنص الديني لا يتضمن هذا، والقراءة تفتح النص الديني على مقاصده الأصلية، ليس المقاصد الشرطية الفقهية، فكل هذا المقاصد مأخوذة من الحدود، أي المسألة هي كيف تفتح النص على مقاصده وهنا يكون السياق مهماً.

■ مسألة الانحياز إلى الأشاعرة أو المعتزلة أو الصوفية سنة وشيعة، هناك نقطتين نريد مناقشتهما معك الأولى مسألة تفتيت التراث من جهة،

ونقل صراعات الماضي إلى الحاضر، والثانية: نصر حامد أبو زيد يرى أن المعتزلة أسسوا للتفكير العقلاني في حدود عصرهم، ولكن المعتزلة والأشاعرة كانوا ينهلون من ذات النظام المعرفي، جاء الإسلام ومسح الطاولة وكرس أركان الخلق من عدم وثنائية الكافر والمؤمن والتوحيد..الخ فإذا كان هناك خلاف بين المعتزلة والأشاعرة فهو نتيجة الاحتياجات السياسية والأيديولوجية ولكن على المستوى المعرفي كان كلا الفريقين ينهلان من ذات النظام

□□ لاشك أن داخل النظام المعرفي الواحد تجليات مختلفة، ونحن جميعا نعيش نظاماً معرفياً واحداً بما هو بنية مجتمعية ثقافية ورؤية للعالم، ولكن أيضا الاختلافات ذات طبيعة مهمة جداً.

المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ينطلقون من نفس المنطلق، جميعهم يرون قوة خارقة خارج لعالم، والعالم مخلوق، ولكن في التجليات لا نستطيع اعتبار ابن رشد هو ابن سينا، فالفرق هو بين ثقافات فرعية للعالم أو رؤى فرعية داخل الرؤية الكلية.

من المهم جداً إدراك أننا لا نتكلم عن الأشاعرة والمعتزلة باعتبارهما ينتميان إلى نظامين معرفيين مختلفين، ولكن التمييز بين بياني وعرفاني وروحاني، بالشدة التي استخدمها الجابري لا أظنها تزيد فهمنا، نحن نستطيع أن نميز ولكن لايعني أن هناك ممثلين لنظام كامل أي لا يوجد عناصر أخرى من أنظمة أخرى، ولكن الفروق مهمة، مثلا على مستوى قضايا فرعية في الإسلام نفسه، المعتزلة يتكلمون عن الإنسان بما هو مطلق إنسان، والعقل بما هو مطلق عقل، قادر على أن يسبق فعل الوحي، أي منطلق مما هو قبل الوحي للوصول إليه، هذا التحليل يبعد المعتزلة عن شمولية النص، بعكس ما يقوله الأشاعرة «القبيح ما قبحه الشرع والحسن ما حسنه الشرع» أي إعطاء النص سلطة أوسع مما أعطاه المعتزلة، فالقبيح ما قبحه العقل والحسن ما استحسنه العقل.

هذا الفرق بين المعتزلة والأشاعرة هو الفرق ـ مثلا مع التفاوت ـ بيني وبين القرضاوي، أنا لا أنكر النص، ومرجعيته، ولكن أنكر شموليته وأترك مساحة واسعة للعقل، بينما هو يقول أن النص يتضمن كل شيء ومهمة العقل أن يبحث عن الحلول الموجودة أصلاً.

وهناك أيضاً قضية الطبقات الاجتماعية المختلفة،، فماذا يمثل المعتزلة في الواقع الاجتماعي؟ بدؤوا جميعاً كموالي، الحسن البصري وواصل بن عطاء، وهم امتداد عقلي للخوارج الذين كانوا بمعظمهم من الموالي والأعراب، لذلك رفعوا الصيحة في التحكيم إذ كان عندهم أمل أن يخرجوا من حكم قريش «حتى لا يحكمنا مضري حتى تقوم الساعة»، هذا التفاوت ولكن ماذا عن البنية؟ أنا اتفق كثيراً مع الطيب تيزيني بأن من الممكن أن تجد عناصر يمكن تبنيها، ولكن أنت لا تتبنى الموقف كاملاً. لأن ذلك يصبح إعادة تكرار للماضي.

■ علاقة المثقف بالسياسي علاقة معقدة وشائكة، وفي زاوية محددة من هذه العلاقة تبرز مسألتين: الأولى أيديولوجيا الانتماء أي المثقف بوصفه كائناً عضوياً ينتمي إلى مجتمع إلى دولة إلى أمة، نجد مناخاً سائداً معيناً، كثيراً ما يجبر المثقف على أن ينضم إلى جوقة المرددين للرأي السياسي كما يشرح إدوارد سعيد حيث يتحول المثقف إلى أداة تبرير، وبذات الوقت يتحول السياسي إلى مبرر آخر للمثقف الذي يتعرض للقمع فيجد مبرره للخلاص في الصمت أو المنفى.

النقطة الثانية: أن المثقف يجد نفسه وسط حلقة من النيران، كما حدث لك شخصيا، فأنت تخوض معركة ضد التطرف، وكنت ضحيتها بشكل من الأشكال بغض النظر عمن انتصر فيها، فنحن لا نريد مناقشة ذلك، وفي نفس الوقت حصلت على نوع من الحماية من السلطة السياسية التي توافق على وصف فيصل دراج لها بأنها الفاعل الأصلي للتطرف، كيف تحل هذه المعادلة.

□□ علاقة المثقف بالسياسة علاقة ملتبسة أي عمل ثقافي فكري هو عمل سياسي بالضرورة، بالمعنى العام للسياسة، أي الأيديولوجيا، لكنه سياسي من مدخل فكري وهذا فرق حيث هناك فروق بين القرار السياسي الذي ينظر للواقع والمجتمع ويتحرك في إطار قوانين الممكن، وبين الفكر الذي يتحرك ضمن إطار قوانين الحقيقة، وبالتالي يحاول أن يخفف من تأثير الأيديولوجيا، كل مفكر يختلف عن الآخر في مدى وعيه للموقف، ومدى تماثل الأيديولوجيا مع الحقيقة التي يعرفها المثقف، لذلك كل نشاط ثقافي هو نشاط سياسي، وكل سياسة هي فكر بشكل أو بآخر.

أما علاقة المثقف بالسلطة فهي علاقة قديمة جداً، وطوال الوقت تنجح السلطة في تجنيد المثقف، وتتظاهر بأنها تتبنى مشروعه، وتقنع المثقف للعمل بمشروعها، وهذا ما أكدته التجارب التاريخية وهو أن السلطة عندما تغير مشروعها تضحي بالمثقف وتوجه أولى ضرباتها إليه، هذا ما حصل للمعتزلة والحنابلة في قضية خلق القرآن، ونحن لانتعلم من الدروس، كيف يحافظ المثقف على استقلاله الفكري؟ هذه مسألة صعبة، لأن المثقف كما قلت ينتمي إلى الدولة ويعيش في الدولة وهو موظف في الدولة كجزء من جهازها، أنا أستاذ جامعي موظف في الدولة وأخضع للقوانين التي تصوغها الحكومة للجامعة والتعليم، فكيف أحافظ على استقلالي؟ لدي جواب من تجربتي الشخصية أحافظ على استقلالي باستثمار كل مايمكن استثماره من إعادة صياغة هذه القوانين لمصلحة عملية التعليم والمعرفة، أحيانا ننجح وأحيانا نفشل وهذا يتوقف على المناخ العام الخارجي، فالقوانين ليست خارج السياق؛ أيام عبد الناصر خرج الطلاب في مظاهرة وجاء عبد الناصر شخصياً وخطب فيهم وقال: «أي نظام يتناقض مع الطلاب ليس له مشروعيه» هذا لايعني أن الجامعة كانت في عصرها الذهبي، لأنه حصل تطهير،ولكن هناك تفاوتات، والواجب هو التغيير من خلال المهنة التي لا تخضع لقانون عام. اعتبر أن المثقف الذي يسعى لمنصب خارج الجامعة كوجاهة اجتماعية هو موظف يخدم السلطة، مثلاً من حقه أن يكون عميداً أو وكيلاً للكلية في مناخ ديمقراطي.ولكن ليس من المشروع أن يكون وزيراً إلا في نظام وطني يعين أصحاب الخبرة. أي لا يمارس المثقف الجامعي مهنته التعليمية وهو ينظر إلى شيء آخر، كل هذا يعطي تفاوتات، بإمكانك أن تميز ببساطة بين أستاذ الجامعة الذي يخدم السلطة بشكل مباشر وأستاذ يحاول أن يخدم عمله في التعليم، رغم أنه جزء من جهاز الدولة وليس السلطة، لأن هناك فرق بين السلطة والدولة وهو فرق كبير جداً.

المثقف يجب أن يحافظ على استقلاله ومؤسسات المجتمع المدني هي التي تجعل هذا الاستقلال ممكنا، المطلوب تحويل الجامعات لمؤسسات مدنية، وقد نشأت أصلاً كمؤسسات مدنية ماعدا الأزهر الذي أقيم كمؤسسة دينية، وأنا هنا أتكلم عن مصر وليس عن قطر آخر، الجمهورية الثالثة ـ وأنا أرفض تسمية النظم بأسماء أشخاص، فهذا يعبر عن سخافة وتسطيح، فهناك مشروع مختلف للجمهورية الأولى والحقبة الناصرية، والجمهورية الثانية(الحقبة الساداتية) حيث انقلب السادات في السياسة الداخلية عبر التحول من الاشتراكية والعدالة إلى الانفتاح والسوق واليوم خصخصة كاملة إلى حد أنني سمعت عن مشروع لخصخصة قناة السويس، في التحليل إذن يجب ألا نشخص لأن التشخيص يخلق الحب والكراهية ونحن نحب ونكره ـ إذن الجمهورية الثالثة نجحت بأن تجعل من مقاومة الإرهاب حكراً على السلطة لذلك نجد أن المبايعة الأخيرة هي مبايعة بما يشبه الإجماع باستثناء بعض الأحزاب، فتحولت الثقافة من يسارية تقدمية إلى جزء من جهاز السلطة فأصبح لدينا ضوضاء ثقافية وهذا يقلل من النقد الذي هو سلاح مهم للتغيير الاجتماعي والفكري، فالمثقف المنتمي بالكامل إلى السلطة يمتنع عن النقد أو يكون نقده هشاً، وليس في نقد سياسات الدولة ومنها سياساتها بالتعامل مع الإرهاب، وهنا ما يفعله رفعت السعيد مثلا. أنا ضد الإرهاب ولكن علي فهم الإرهاب فهماً أعمق من التسطيح بالقول على رأي السعيد بأنهم كائنات مشوهة جاءت من مكان ما، وان نتناسى أن جهاز الدولة الديني والإعلامي هو الذي ينتج الأفكار التي يأخذها هؤلاء الأولاد البائسون جداً جداً ويمدونها إلى آخرها ويتحولون إلى إرهابيين، لافرق إذن، لا أستطيع أن اختار بين الإرهاب ونظام فاشي فأرفض الاثنين معا.

■ سؤالنا الأخير ألا ترى أن الصورة مظلمة جداً في العالم العربي.

□□ رغم ذلك علينا أن نكون متفائلين، طبعاً الوضع سيء جدا ولكن علينا أن نبحث عن نقاط الضوء، ومادمنا قادرين على التفكير والكتابة والكلام والفعل الاجتماعي إذا فهناك أمل ودائرة الحصار ليست كاملة ولن تكتمل أبدا لان هناك من سيعلن رفضه دائما ■■

ندوة

الأسبوع الثقافي لدار "المدى" بدمشق

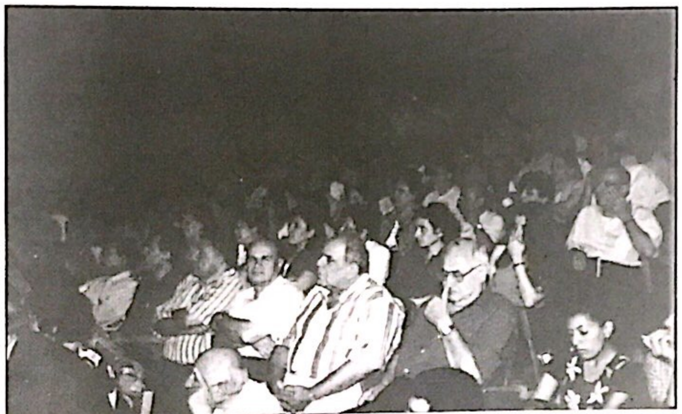
الثقافة والعولمة، والتطرّف، والرواية والمرأة.. وتجلّيات الماغوط شاعراً

علي الكردي

بدا النشاط الثقافي الأخير لدار المدى، وكأنه خارج النسق المألوف للأنشطة الثقافية التي تطالعنا عادةً، فأن تتصدى دار نشر خاصة إلى بناء منشاة ثقافية تضم إضافة للدار صالة للعروض، ومعرضاً دائماً للكتاب، وأسبوعاً ثقافياً زاخراً بالأسماء والموضوعات الإشكالية الساخنة.. لهو شيء جديد على المشهد الثقافي العربي، ذلك لأن مثل هذه الفعالية الواسعة تكاد تعجز عن تنظيمها مؤسسات رسمية، فكيف الحال إذا تصدّت لهذه المهمة دار نشر خاصة؟

بكل الأحوال إذا كنّا نثمّن هذه المبادرة الجريئة لدار المدى، فإننا نثمّن بشكلٍ خاص دور الجمهور، اللافت، الذي لعب بحضوره الكثيف وتفاعله الحار دوراً أساسياً في نجاح هذه الفعالية حيث أثبت بشكلٍ واضح تعطّشه الشديد للحوار والمعرفة العميقة، وحساسيته المدهشة تجاه كل ما هو جاد وأصيل خارج سوق المزايدات الثقافية التي طفت على السطح في الآونة الأخيرة.

غياب الدكتور جابر عصفور عن الفعالية في يومها الأول، عوّضه ما أثاره الدكتور صادق جلال العظم - كعادته - من قضايا إشكالية في موضوعه حول «الثقافة والعولمة» الذي عقّب عليه الدكتور ماهر الشريف، ولكن قبل ذلك قدّم الدكتور مجيد الراضي (مدير تحرير المدى) موضوعاً بعنوان: «الثقافة والعولمة - بحث في الجذور» تساءل من خلاله: عن معنى العولمة بالنسبة للثقافة بكل تنوعاتها، ورأى أن جذور العولمة: فكرية، ثقافية، دينية كامنة، وقد حاول الراضي أن يستقرأ ملامح العولمة في الديانات الثلاث (الكبرى)، التي تحولت إلى عقائد تفرض بالقوة، أما عن الطابع الحالي للعولمة فرأى فيه ليس قبولاً بالآخر



كحامل لثقافة مختلفة بالإستناد لمعطيات معينة، وإنما محاولة سافرة من الأقوى لإبتلاع الآخر - الأضعف والمختلف ثقافياً - من جذوره، وختم الدكتور راضي محاضرته بالقول: إن انتصار الرأسمالية لايعني نهاية التاريخ.

لم يفسح الزمن المخصص لكل محاضر، للدكتور صادق جلال العظم أن يطرح موضوعه على راحته، مما اضطره إلى اختصار الجزء الأخير منه، الذي يتعلق بأزمة الثقافة العربية، في ظل العولمة، وكان العظم قد طرح موضوعه على شكل تساؤلات تستدعي التأمّل لأن إجاباتها غير ناجزة.

التساؤل الأول الذي تقوم عليه أطروحة العظم (وقد قام المعقب د. ماهر الشريف بنقض أساسها النظري) يقول: هل نشهد تبلور ثقافة عالمية عليا تتجاوز الثقافات المحلية والأقوامية، وذلك نتيجة صيرورة توحيدية للعالم المعاصر، بمعنى نشوء وتطور بنية ثقافية عالمية ما تستند إلى قاعدة وسطى وجمهور عريض، وذلك بالارتباط مع ظاهرة العولمة، وتساءل: هل نشهد تشكّل نخبة ثقافية عولمية - أثارت أطروحاتها ردود فعل عابرة للقارات - وذلك بغض النظر عن تموضعها المكاني، أو الأقوامي. وهي تتصف بخصائص محددة، وتحمل حاجات ثقافية وروحية ونوعية معينة؟!

وهل نحن أمام تشكل حالة ثقافية ما.. عولّمية مثلاً؟! وختم بأن مفتاح الأجوبة مرهون بظاهرة العولمة ذاتها وفهمها.

في التعقيب على أطروحة العظم تساءل د. ماهر الشريف: هل العالم قد توحّد فعلاً، أو يشهد صيرورة توحّد، اقتصادياً وتجارياً وتكنولوجياً، كي يصبح في الإمكان الربط بين هذا التوحد وتوحده على المستوى الثقافي ؟! ورأى الشريف أن المفارقة تكمن في أن العالم اليوم إذا كان مهيأً موضوعياً لمثل هذا التوحيد، فإن السياسات الرأسمالية جعلته منقسماً على نفسه أكثر من أي وقتٍ مضى.

اجتهادات حول «التطرّف»

في جلسة اليوم الثاني من الأسبوع بدا الإنقسام، أو الإختلاف في الرأي واضحاً بين المحاضرين حول مقاربة موضوعة «التطرف» وتحت عنوان «التطرف الرئيسي والتطرف الثانوي» اعتبر الدكتور فيصل درّاج أن السلطة العربية هي مصدر التطرف و«هي مرجعه، وهو الإبن الشرعي لها، كما لو كانت السلطة قد تمثل فيها التطرف الأصلي نموذجاً تُشتق منه وبأشكال مختلفة ألوان التطرف الأخرى»، وخلص إلى ان كلا التطرفين «يسهمان معاً في تدمير المجتمع».. وهكذا اعتبر دراج أن التطرف الثانوي، أو التطرف المعارض هو استطالة للتطرف السلطوي واعتبر أن تطرف السلطة السياسية المسيطرة في العالم العربي يتكشّف في جميع المجالات السياسية والاقتصادية وفي الثقافة والتعليم.. الخ. وفي المجال السياسي نقف عند مصطلح الباحث حول: «دولة السلطة» المعاكس لمفهوم «سلطة الدولة» وهذه المسألة تطرح جملة من القضايا التي تلحق جملة من التشوهات في الأركان الأربعة: الدولة، السلطة، المواطنة والسياسة، فدولة السلطة تضع نفسها فوق سلطة الدولة، ويفضي تطرف السلطة إلى نفي الدولة، ويفضي انطفاء الدولة إلى انطفاء المجتمع، فالدولة - وهي مفهوم حديث - «لاتقوم بتوحيد المجتمع إلا لإخضاعه»، غير أن دولة السلطة وهي تخلق التطرف وتجسده تزيح معايير الدولة حين تشخصن علاقاتها، وحول النقطة الثالثة تأخذ المواطنة معنى الرعية، والمواطنون كتلة من المحكومين، أو المحرومين الذين يأكلون أقل ويشربون أقل، ويتكلمون قليل القليل وفي علاقات الإستبدال هذه وشروط تفكيك المواطنة لايجد المواطن أمامه معنى للوطن خارج الدين، أما في ركن السياسة، فتنتج دولة السلطة مجتمعاً تنتفي فيه السياسة بما تعنيه من «حوار متجدد يطرح الأسئلة الصحيحة، نحو إجابات صائبة».

في محاضرة الدكتور رفعت السعيد، كاد الجو يتوتر رغم حس النكتة الساخرة التي يتمتع بها، إذ لم

يستطع المحاضر أن يغلّف الوجه الآخر للتطرف الذي ظهر عليه خطابه (رغم جو المرح الذي أشاعه) واعتبر البعض أن السعيد لم يقدّم جديداً في هذه المحاضرة بل كرّر ما قاله في مناسبات سابقة حول ربط التطرف بالأسلمة السياسية، وجاء بأمثلة من التاريخ لتأكيد صحة هذا الرأي معتبراً أن اغتيال سعد بن عبادة هو أول اغتيال سياسي في الإسلام. ثم قدم أمثلة حديثة عن التطرف الإسلامي من واقع مصر، ليشن من خلال ذلك حملة عنيفة على ما أسماه «التأسلم» و«المتأسلمين»، معتبراً أن هؤلاء لايؤمنون إلا بمصالحهم ويقصد «الجماعة الإسلامية المصرية»، وذلك على عكس تسامح وانفتاح علماء الفقه الإسلامي.

عقّب الدكتور أحمد برقاوي على محاضرة درّاج بالتنويه إلى أهمية ما تثيره من اسئلة وتساؤلات من قبيل: لماذا أخذ التطرّف الراهن صيغة إسلامية ولم يأخذ صيغة أخرى؟ هل لأن جرثومة التطرّف قائمة في قلب الإسلام؟ واعتبر أن التطرف متعدد الأوجه وقد نجده في أكثر من واقع، وتعريفاً للتطرف قال: هو التشرنق خلف فكرة واحدة تأسر المؤمنين حولها، وإن فكرة الخلاص في واقعنا العربي الراهن تعينت بأشكال مختلفة (الشيوعي، القومي، الليبرالي، الإسلامي)، وعندما كادت فكرة الخلاص في الإتجاهات الأخرى تنتهي أو تكاد تتبخر بقيت فكرة الخلاص الإسلامية، والسبب أن أفكار الخلاص الأخرى أفكارٌ أرضية بينما الفكرة الأخيرة إلهية.

وفي معرض مداخلته انتقد برقاوي وجهة النظر التي تربط بين الإسلام والإرهاب خارج أي شرط تاريخي منوهاً إلى أن «أكثر من دافع عن العلمانية هم مفكرو النهضة الإسلاميون».

في تعقيب محمد جمال باروت حول محاضرة السعيد اعتبر باروت أن مسألة التطرف أكثر تعقيداً بكثير مما ذهب إليه د. رفعت السعيد ورأى أطروحات السعيد شكلاً قريباً من أشكال الإيديولوجيا العربية المبسطة التي تبثها الأنظمة بخطابها الذي يحمل البعد التحريضي، (...) حيث لم يبحث السعيد بعمق تحليلي عن سمة من سمات المكوّن المعرفي للفكر المتطرّف بل «طبع صورة للآخر وحبسه فيها» متجاهلاً الخلافات داخل الحركات الإسلامية حول المجتمع المدني، وخلص إلى أن عدم تمييز الباحث بين الحركات الإسلامية الراديكالية وغير الراديكالية قد أضعف البحث، وختم بعدم موافقته الباحث على وصفه للحركات الإسلامية.

أبو زيد/ النص والسياق

بدأ المفكر نصر حامد أبو زيد محاضرته بكلمات وجدانية مؤثرة تنم عن حنينه للوطن بعد مرور أربع سنوات على وجوده في المنفى قائلاً: «أربع سنوات لم أتحدث باللغة العربية إلا في البيت مع ابتهال (أظنكم تعرفونها جميعاً)، وعليه هذه ليست محاضرة، وإنما هي حديث همس ومصارحة ومكاشفة..». ثم وبإشارات سريعة تحدث عن بحثه في تاريخية النص، وما جرّ عليه من اتهامات، منها مثلاً بأنه جعل من القرآن فلكلوراً، وحاول أن يبرّهن أن التاريخية والسياق التاريخي الذي حاول أن يحلل النص القرآني من خلاله لايمس قدسية النص، ومن هنا جاء بحثه في المنهج و«أدبية» النص، لفهم السياق الذي تفاعل معه.

وفي سياق المحاضرة استعرض شغله على دوائر ثلاث: الأولى: قضية المجاز في القرآن عند المعتزلة، ثم توجهه في الدائرة الثانية نحو دراسة المتصوفة واسترشاده بعناصر التراث في قراءات حول تاويل القرآن عند محي الدين بن عربي، ثم في إطلاعه على التراث العلمي وعلوم القرآن وقراءته لها قراءة مغايرة تختلف عن القراءة التقليدية التي تكرّر ما سبق قوله منذ آلاف السنين.

في الحوار المخصص مع الجمهور دارت معظم النقاشات حول النص والمقدس وكيفية التوفيق بين توصيف النص بانه تاريخي وأنه إلهي؟ وبين تنزيل القرآن على مدى عشرين سنة، كما هو مؤكد، تاريخياً وبين تنزيله في ليلة واحدة ـ هي ليلة القدر؟

وانهى أبو زيد محاضرته التي دخلت في تعاريج كثيرة مفصّلة لتفسير أسباب الجهد المعرفي الذي بذله في قراءة النص القرآني وتأويله متسائلاً: «هل نجحت؟» وأضاف: مازلت أحاول، ويجب أن أعترف لنفسي بشرف المحاولة على الأقل، فالإسلام هو الدين الوحيد الذي يكافئ على الخطأ في الاجتهاد. نحن كلنا نردّد هذه العبارة، ونلوكها لوكاً، لكن يجب أن نكرس في مجتمعاتنا حق الخطأ إذا تم الاجتهاد.

نحن نخاف أن نخطئ لذلك لانعمل، أنا أريد أن أحمل نفسي خارج الخوف (..) وأن أحمل ديني خارج الخوف، وأن أحمل المسلمين خارج الخوف، ألا هل بلّغت.. اللهم فاشهد.

الرواية والشكل وطرائق السرد

أجمل وصف يمكن أن نطلقه على يوم الرواية ما قاله الروائي المصري بهاء الطاهر استناداً إلى لغة المسرح تعبير (انحدار من القمة) حيث بدا يوم الرواية باهتاً بالمقارنة مع ما سبقه، وكان د. جمال شحيد قد قدم المشاركين في الندوة وهم الروائي والناقد نبيل سليمان الذي تحدث عن الشكل الروائي والموقف، وبدأ مداخلته بالإحتجاج على عدم استشارته في عنوان مداخلته التي اختار لها عنوان آخر هو: «شكل روائي لموقف»، مبرّراً ذلك بقوله: الحفر بشكل روائي لموقف لايدعي الإحاطة، ولايشطح بجهارة وإنما قد يشير إلى تحليل في التذكير وربما إلى اجتهاد واقتراح، إذن شكل روائي لموقف..

الروائي المصري بهاء طاهر قال فهمت عنوان مداخلتي «علاقة أنا الروائي والآخر» على أنه العلاقة بالآخر الغربي، وفي هذا السياق تناول تلك «العلاقة الشائكة والمعقدة مع الغرب»، وانتقد وضع دارسي الأدب أعمالاً بعينها في سلة واحدة تحت لافتة «العلاقة بالآخر» وكأمثلة أشار إلى «عصفور من الشرق للحكيم وقنديل أم هاشم ليحيى حقي وأديب لطه حسين والحي اللاتيني لسهيل إدريس.. وموسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح، وأصوات لسليمان فياض إلخ..».

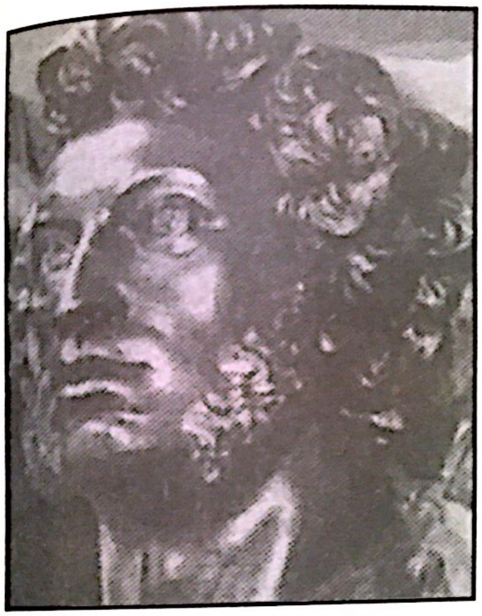
وانتقد هذه الأطروحات التي رأى فيها «الإستشراق معدولاً أو معكوساً» واعتبر أن علاقة الشرق بالغرب أبعد غوراً، بل تشمل أزمة الوجود الإنساني.. ودعا أخيراً إلى رفض التصورات المسبقة والنمطية عن الحياة والإنسان التي تستعصي على الروايات الجاهزة والسهلة، ورأى أن هذا يصدق على جملة الروايات التي درجنا على تصنيفها ضمن إطار العلاقة مع الآخر، وأخيراً تحدث الروائي الكويتي إسماعيل فهد اسماعيل عن «الشكل الروائي وطرائق السرد» وقدم نماذج تطبيقية لدراسة تقنيات السرد لأعمال بعض الروائيين العرب (إبراهيم الفيومي، حيدر حيدر، بهاء طاهر، الياس خوري) وذلك بالاستناد إلى بعض الدراسات النقدية الأكاديمية لنقاد عرب. أما إلياس خوري فقد تغيب عن الحضور وقرئت مداخلته بالنيابة عنه.

المرأة العربية على أبواب الألفية الثالثة

في هذا اليوم الذي خصص للمرأة، تغيبت أيضاً فريدة النقاش التي سافرت مبكراً، وتغيبت الدكتورة بثينة شعبان وقرئت كلمتها بالنيابة عنها، لكن المفاجأة كانت حسين عودات الذي قدّم بالأرقام مفارقات محزنة حول واقع المرأة العربية وحول النسب المرتفعة في مجال أمية المرأة، والمنخفضة في مجال عملها، ووضعها المزري في مجال قانون الأحوال الشخصية وضعف مشاركتها في الحياة السياسية والإجتماعية.. كذلك قدمت د. ماري إلياس مداخلة جريئة حول كيفية تحقيق المرأة لذاتها، وعقبت المحامية حنان نجمة على كلمة حسين عودات، بيد أن إدارة المفكر نصر حامد أبو زيد لهذه الندوة قد أضفى عليها زخماً إضافياً لافتاً.

يوم الشعر

في اليوم الأخير، كان الشعر حاضراً بعظمة وقامة محمد الماغوط الذي تجلّى، وفاض، وكم كان ساحراً هذا التناغم الذي شعّ شفافية وحزناً وموقفاً بذاك التقديم الموفق للشاعر نزيه أبو عفش الذي خصّ الشاعر باسمه واسم الجمهور بوردتين من الورود البيضاء بدلاً من جائزة لم ينلها لتشتعل الصالة تصفيقاً وتأييداً ■■



المئوية الثانية

لميلاد الشاعر الروسي الكبير ألكسندر بوشكين

مرآة روسيا السحرية

خليل جنداوي

من عرف روسيا ولو قليلاً، يدرك كم تعشق هذه الأمة الشعر، وربما فوجئ بمقدار التبجيل الذي تمحضه شعراءها الذين طالما اعتبرتهم كماوصفهم ألكسندر سولجينتسين بـ «الحكومة البديلة».. فكان معظمهم بمثابة حراس للضمير الوطني في معارضتهم العنيدة للظلم بكل أنواعه وألوانه..

وكما هو الحال في بداية حزيران، كل حزيران، يترك الروس انشغالاتهم واهتماماتهم ويحملون همومهم وأفراحهم وأرواحهم المتعبة ويتهيؤون للاحتفال بعيد ميلاد شاعرهم العظيم بوشكين.. ولم يتغير هذا التقليد في كل الظروف، سواء أكانت روسيا تواجه عدواً خارجياً أو تخوض حرباً أهلية.. تعاني مجاعة أو كارثة.. أم كانت تعيش أياماً هادئة..

هذه الطقوس السنوية التي تحافظ عليها روسيا بما يشبه القدسية، ليست روتيناً مملاً يتكرر بحكم العادة أو لإشباع شعور غامض بالواجب، بل هي أقرب لصلاة خاصة ينجرف إليها الروس بوعي وإرادة.. ربما لأن بوشكين نفسه لم يكن مجرد شاعر وإن اقترن اسمه بالعظمة، بل هو أشبه بكاهن أعظم غاص في أعماق رعيته وعرف خفاياها، فأخذت أرواحهم المعذبة تنشد خلاصها في محرابه حتى بعد موته.. فالأدب الروسي على عظمته لم يعرف حتى الآن مبدعاً مثل بوشكين استطاع أن يكتب شعراً ونثراً عن روسيا الطبيعية والإنسان بمثل هذا العمق والروعة.. وكأنه سلط الضوء على الجانب المعتم من الروح الروسية فأظهر جمالها وفتوتها وعظمتها رغم فداحة الأغلال التي رزحت تحتها وما زالت، ورغم القبح الذي لم يكف عن محاولة تطويقها بقسوة.. عنه قال تلميذه الكبير، الكاتب نيقولاي غوغول: «بوشكين ظاهرة خارقة وربما الظاهرة الوحيدة للروح الروسية في تجلياتها المتطورة، فهو الإنسان الروسي في تطوره الذي قد يصبح عليه بعد 200 عام»، وقد كان غوغول على حق، فحتى بعد 200 سنة على ميلاده و162 سنة على موته يظل بوشكين معاصراً.. وتبقى أعماله بالنسبة لروسيا كمرآة سحرية تنظر فيها فترى طفولتها وبراءتها وروحها المنطلقة، فتتحرر من مخاوفها.. تنظر أكثر فترى الأمور ليست كما هي عليه، بل كيف يجب أن تكون..

ومن الملفت حقاً أنه رغم التقلبات الهائلة التي عصفت بروسيا، إلا أن النظرة لبوشكين لم تتغير مع اختلاف الأزمنة وأنظمة الحكم. فروسيا القيصرية بجّلته.. والسوفييت الذين اعتبروه «أبو الأدب واللغة الروسية»، كانوا يحتفلون به بحفاوة بالغة، إلى درجة أنه يندر وجود مدينة روسية دون أن يكون فيها نصب تذكاري لبوشكين أو ساحة أو شارع يحمل اسمه.. ومن الواضح أن روسيا المعاصرة لا تريد أن تبدو أقل تقديراً للرجل. فرغم أن الأوضاع التي تعيشها منذ سنوات هي أبعد ما تكون عن الرومانسية والشعر، إلا أن هذا لم يمنعها من معانقة الحدث الكبير المتمثل بالذكرى المئوية الثانية لميلاده والتي مرت قبل أيام، ولتنطلق الاحتفالات بهذه المناسبة منذ بداية العام على شكل ندوات وحفلات موسيقية وإعادة لمسرحياته وبث الأفلام التي استلهمت أعماله، وبرامج تلفزيونية يومية، في بعضها كان المذيع يبدأ كلامه بالقول: تبقى شهر على ميلاد بوشكين.. تبقى عشرة أيام.. ستة أيام.. فضلاً عن ذلك كانت صور بوشكين في كل مكان.. في نوافذ العرض، وعلى الحافلات ولوحات الإعلانات وجدران المباني والأكياس البلاستيكية حتى علب الكبريت..

ولا تخلو معظم حياة بوشكين من الإثارة منذ ولادته حتى موته المفجع، فجد أمه إبراهيم هانيبال هو أمير إفريقي (يقال أنه من الحبشة) اشتراه القيصر بطرس الأكبر وهو طفل ثم أعتقه، بل وتبناه مانحاً إياه اسمه: ابراهام بيتروفتش (أي ابن بطرس) هانيبال، وقربه منه ودفعه للتعليم فأصبح مهندساً بالإضافة لحصوله على رتبة جنرال في الجيش الروسي. وعندما ولد شاعرنا ألكسندر سرجييفتيش بوشكين في 6 حزيران، 1799 يبدو أنه «ورث» عن جده الإفريقي الكثير، فرغم زرقة عينيه، إلا أن بشرته كانت سمراء داكنة وشفتاه غليظتين وشعره أجعد..

تلقى بوشكين في طفولته دراسة جيدة وخصوصاً أن الشعر والأدب لم يكونا غريبين في بيت أبويه، فقد كان والده يملك مكتبة منزلية غنية بكتب الأدب وروائعه وخصوصاً الشعر الفرنسي، كذلك فإن أمه كانت تقيم باستمرار أمسيات أدبية يحضرها العديد من كبار أدباء روسيا آنذاك، وقد استفاد بوشكين كثيراً من هذا الجو ومن معلميه الأجانب، فمنذ صغره كان يتحدث ويكتب بالفرنسية ويعرف الإنكليزية والإيطالية والإسبانية. إلا أن الجانب الآخر وربما الأهم من ثقافة بوشكين جاء من مربيته العجوز أرينا راديونفا التي كانت تتمتع بذاكرة مدهشة وتحفظ عدداً وافراً من الأغاني الشعبية والحكايات والأمثال والأقوال المأثورة، وهي التي عرّفته على الشعر الشعبي، وقد اعترف بوشكين لاحقاً بفضلها في إيقاظ ملكة الشعر في نفسه ورثاها عندما توفيت بقصيدة شهيرة.

كتب بوشكين الشعر ونشر أولى قصائده قبل أن يتم الخامسة عشر من عمره، وعندما بلغ الثامنة عشر، كان قد ثبت أقدامه في الساحة الأدبية والفكرية الروسية، حيث تظهر أشعاره الأولى مفعمة بالروح الإنسانية وتنبض بالحرية والرغبة في الانعتاق بحثاً عن السعادة. وفي عام 1820 كتب أولى أعماله الكبرى وهي قصته الشعرية «روسلان ولودميلا» التي لحنها تشايكوفسكي في أوبرا نالت شهرة واسعة. إلا أن ما غيّر مجرى حياة

شاعرنا وقلبها رأساً على عقب علاقته مع «الديسمبريين» وهم أعضاء أول حركة ثورية في روسيا وقد ظهروا بعد حرب نابليون وكان معظمهم من الضباط النبلاء الشباب الذين طمحوا لإلغاء نظام القنانة الإقطاعي وإقامة دولة ليبرالية. ورغم أن بوشكين لم يشترك في نشاطهم السياسي إلا أنه في أشعاره أيد أعمالهم. ورغم أن السلطات لم تسمح بنشر قصائده الثورية، إلا أن بعضها مثل قصيدة «القرية» و«الحرية» انتشر على نطاق واسع عبر قصاصات ورقية مكتوبة باليد، الأمر الذي أثار غضب النظام القيصري عليه، فتم نفيه إلى جنوب روسيا في عام 1820 ليقضي هناك عدة سنوات أذكت موهبته وأغنتها.. وعبر رحلاته في جنوب الإمبراطورية من القفقاز إلى القرم فملدافيا، اكتشف عظمة روسيا وبؤسها.. جمال طبيعتها وفساد نظامها السياسي.. وهناك عكف على القراءة وتأثر بالشاعر الانكليزي اللورد بايرون وتحول عن الأسلوب التقليدي الكلاسيكي المتزمت الذي أخذته روسيا عن فرنسا إلى صيغ رومانسية أكثر تحرراً، وتجلى ذلك في سلسلة من قصائده مثل «سجين القفقاز»، «قطاع الطرق الأشقياء»، «الفجر»، «ينبوع باختش ساراي»..

في عام 1824 تحول النفي إلى إقامة جبرية في مقاطعة أسرته في ميخائيلوفسكي، دامت عامين قضاهما شبه وحيد، لا يؤنس وحشته سوى مربيته الأمينة وآلهة الشعر، ويبدو أن هذه العزلة انضجته، فتحول تأثره من بايرون إلى شكسبير وولترسكوت قبل أن يتحول بوشكين نفسه إلى مدرسة مستقلة تمارس التأثير على غيرها.. هناك بدأ يفضل على مناظر البلاد الغريبة، صورة غدير أوتلة رملية وبضعة شجيرات بالقرب من كوخ أو منظر عربة تجري في السهل الروسي وترن أجراسها في إيقاع موسيقي ناعم.. وهناك أيضاً تعمق شعوره بالغضب للسوة نظام القنانة وأظهر تعاطفه مع الفلاحين.. ويمكن القول أنه في ميخائيلوفسكي بالذات أصبح بوشكين شاعر الأرض الروسية أو شاعر روسيا القومي..

لا شك أن أعظم أعمال بوشكين هي روايته الشعرية «يفغيني أنيغين» التي وضعت بـ«موسوعة الحياة الروسية» وقد بدأ نظمها أثناء وجوده في المنفى وأنجزها عام 1830. ويفغيني هذا شاب عابث خيبت الحياة آماله فاصبح شكاكاً قاسياً حمل كآبته ورحل من بطرسبورغ ليعيش في قرية صغيرة، وهناك يتعرف على فتاة «تاتيانا» فتظهر له الحب، لكنه يصدها، ويمضي على سبيل اللهو في إفساد سعادة صديق له، وينتهي به الأمر بقتله في مبارزة بينهما، بعد ذلك تتزوج هذه الفتاة وعندها فقط تتفجر في داخله مشاعر الحب تجاهها، لكنها تصده.. إن الفقرات الأولى من هذه القصيدة ترسم لنا صورة من حياة غندور عابث في بطرسبورغ، ثم تسير بنا إلى الريف لتكشف لنا صورة دقيقة عن الحياة الروسية آنذاك وتظهر عادات الزمان السالف وتصور الخرافات الشعبية التي تشارك تاتيانا شعبها بالاعتقاد بها ورغم أن هذه الفتاة ترعرعت على تربية فرنسية لكنها ظلت قريبة من الشعب بروحها دون أن تدري لماذا!! ويجمع النقاد على أن هذه الرواية الشعرية هي أول رواية واقعية في الأدب الروسي، وهي في الوقت نفسه أغنى قصائد الأدب الروسي بالموسيقى..

وإذا كان بوشكين مشهوراً عندنا كشاعر فقط، فإن أعماله القصصية لا تقل براعة وروعة عن قصائده مثل: «قصص بيلكين»، «البنت البستوني»، «ناظر المحطة».. ويسجل النقد الأدبي لبوشكين انه أول من طرح في أعماله مشاكل الإنسان البسيط بعد أن كان الأدب الروسي يعالج فقط هموم الطبقات الأرستقراطية.. وللكاتب قصة تُرجمت للغة العربية هي «دوبروفسكي» وهي في مجرياتها تشبه إلى حد كبير ملحمة «أدهم الشرقاوي» في مصر.. ولبوشكين أيضاً أعمال مسرحية عديدة، نظم أغلبها شعراً مثل: «الفارس البخيل»، «مونسارت وتساليري»، «الضيف الحجري»، و«وليمة في زمن الطاعون». إلا أن أشهر مسرحياته يظل «بوريس غودنوف» التي عالج فيها مرحلة من أكثر فترات التاريخ الروسي اضطراباً حيث تنقسم روسيا حول بطلين هما قيصر وصل إلى السلطة بقتل طفل كان من المفترض أن يصبح القيصر، وآخر كاذب يدعي أنه الطفل القتيل ويطالب بالعرش..

في إنتاج بوشكين الغزير نجد تنوعاً مدهشاً في الموضوعات التي ينهل منها: فمن الطبيعة وظواهرها إلى المشاعر النبيلة كالحب والصداقة والحرية والعدالة... وصولاً إلى التاريخ وتحديداً الروسي حيث بدأ بوشكين في أعوامه الأخيرة يوليه أهمية متزايدة، ففتنته شخصية بطرس الأكبر فكتب عن مزاياه الإيجابية قصيدة «الفارس النحاسي» وتغنى بانتصاره على السويدين في موقعة بولتافا في قصيدة «بولتافا»، وهو يحدثنا عنه أيضاً في روايته النثرية التي لم يكملها وكان يريد فيها تخليد ذكر جده الحبشي وعنوانها «زنجي بطرس الأكبر»، ومن التاريخ الروسي أيضاً استهوته شخصية تكاد تكون نقيض بطرس الأكبر ونقصد بوغاتشوف قائد التمرد الفلاحي الكبير الذي كاد يطيح بالنظام القيصري، فكتب عنه بشكل حميم وكرس له قصة «ابنة الضابط».

ومن المثير هنا أن القرآن الكريم كان من المواضيع الهامة التي ألهمت بوشكين ونهل منّها، ويبدو أن ما أخذه الشاعر عن جده الإفريقي لم يقتصر فقط على شكل الوجه.. ونشير هنا إلى أن العديد من المؤرخين رجحوا أن يكون هانيبال من أصول مسلمة، ويقول البعض أنه حافظ على إسلامه سراً، ويوردون أدلة على ذلك منها اسمه (إبراهيم)، كذلك أنه عندما تزوج وأنجبت زوجته غلاماً، كان يريد أن يطلق عليه اسماً مسلماً (انور)، لكن أهل زوجته لم يعجبهم الأمر، وضغطوا عليه فاسماه «أوسيب» (كان هو جد بوشكين).. ويبدو أن هذه التفاصيل كانت في ذهن بوشكين عندما بدأ في شبابه بقراءة ترجمة روسية للقرآن الكريم، فاظهر اهتماماً واحتراماً كبيرين لهذا الدين ولتعاليمه وللنبي العربي الأمي (صلعم)، الأمر الذي نجده في سلسلة من قصائده (تسعة) أسماها «قبسات من القرآن» وفيها نجد صياغة شعرية جميلة لبعض القصص والمواقف القرآنية.

في عام 1831 تزوج الشاعر من الحسناء ناتاليا غونتشاروفا... ومع ازدياد الحب الشعبي لبوشكين، تعاظم كره الأوساط القيصرية له ولا سيما بعد أن أصبح صوته نافذاً في الحياة والثقافة الروسيتين. وعلى الرغم من أن علاقات الشاعر كانت طيبة مع القيصر نيقولاي الثاني الذي كان يقدّر عبقريته، إلا أن هذا لم يكفِ لحماية الشاعر من بطانة القيصر الذين واصلوا حبك مؤامراتهم ودسائسهم، فنجحوا في تحريض ضابط فرنسي مهاجر هو جورج دانتيس على ملاحقة زوجة الشاعر، وحسب العرف السائد آنذاك كان على بوشكين أن يدافع عن شرفه بدعوة خصمه للمبارزة، ليطعنه هذا طعنة قاتلة أمهلته يومين قبل أن يلفظ أنفاسه في 6 شباط 1837، عن عمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين استطاع فيها أن يشغل الدنيا باسمه وليرتفع بالأدب الروسي إلى مصاف العالمية. ويبدو أن بوشكين رثى نفسه سلفاً بقصيدته «لقد شيدت لنفسي نصباً» التي قال فيها:

لقد شيدت لنفسي نصباً
لم تصنعه الأيدي
إليه لن تنقطع مسيرة العابرين
الحديث عني سيستمر في كل
روسيا العظيمة
وستنطق باسمي كل الألسن

* * *

وطويلاً سيظل قومي يحبونني
فقد مزّزت بقيثارتي المشاعر
النبيلة في عصري
وتغنيت ممجداً الحرية
وناديت بالرحمة للمقهورين

ويظل بوشكين رغم ١٦٢ سنة على وفاته و٢٠٠ سنة على ميلاده وجه روسيا الذي لا يشيخ.. هو شمس الشعر التي لا تغيب وصاحب المكانة الرفيعة العالية ليس في الأدب الروسي وحسب بل وفي الأدب الإنساني برمته.. فبوشكين بالتحديد هو من فتح الطريق لنيكولاي غوغول وانطوان تشيخوف وليون تولستوي وفيدور دوستويفسكي الذين وصلوا بالأدب العالمي إلى ذرى جديدة.. وكما قال الناقد الروسي إدوارد رادجينيسكي: «بدون بوشكين ما كان تولستوي».. مكانة بوشكين لخصتها سيدة روسية بسيطة بقولها: «في كل بيت من قصائد بوشكين ستجدون منزلا صالحاً للسكن» ■■

«الهدف» تحاور الباحث محمد قجّة بمناسبة اكتشاف بيت المتنبي

دروس في حبّ حلب

أجرى الحوار: د.محمد جمال طحان

من الحب ما يرتقي إلى الشفافية فنرتفع به لنسمو، وكلما أوغلنا في التعرّف إلى الشخصيات النادرة التي تطفح بعشق الوطن وأهله، ازددنا يقيناً بأن الدنيا لما تزل بخير.

ومن القلائل الذين يجعلون الحياة محتملة الأستاذ الباحث محمد قجّة، الذي مذ كان مربياً وعضواً في جمعية العاديات، ثم رئيساً للجنة الثقافية فيها، إلى أن أصبح رئيساً لها، دأب على التفاني في الارتقاء بها وبدعم مقاصدها في حماية حلب القديمة وتراثها وآثارها، بما يتوافق والحفاظ على تراث الأمتين العربية والإسلامية.

أشيع عنه، مثل كل المبرزين، ارتباطه بجهات مختلفة، وللمفترين العذر لأنهم لم يعتادوا التعرّف إلى اناس أحبّوا أوطانهم ففاضوا عطاءً يستريب منه كلّ من سحرته الأنانية بأوثانها العاتية.

وبالرغم من مشاغله المتعددة، ومؤلفاته المتنوعة، يحرص الأستاذ قجّة على إجابة دعوات كل المنابر التي تفخر بكونه مشافهاً بارعاً ليستزيد منه سامعوه.

ومن أحدث مآثره اكتشافه بيت المتنبي في حلب، وحول قصة الاكتشاف كان لنا معه الحوار الآتي:

■ منذ فترة وجيزة زارت جمعية الشعر في اتحاد الكتاب العرب موقع بيت المتنبي في حلب واستمعت إلى دراستكم حوله، وتبع ذلك ندوة من خمس جلسات أقامتها كلية الآداب في جامعة حلب على مدرج المتنبي تحت عنوان (المتنبي والشعر في حلب بين الماضي والحاضر) شارك فيها ما ينيف عن عشرين باحثاً ودارساً من الوطن العربي وجامعة طهران، هل لك أن تحدّثنا عن قصة اكتشاف بيت المتنبي، من بدايتها، وما التحولات التي جرت على بيته منذ ذلك التاريخ حتى الآن؟

□□ خلال عملي في إنجاز كتاب (حلب في عيون الشعراء) حاولت التركيز على شعراء كانوا أكثر التصاقاً بالمدينة كالصنوبري والبحتري وعمر أبي ريشة وسواهم.. ولكن طيف المتنبي كان يلاحقني في كل مراحل العمل. كان السؤال الذي يشغلني دائماً وأنا أقلّب الكتب التي درست المتنبي: أين أقام شاعرنا في حلب، وكيف كانت حياته اليومية فيها؟ ولقد جاءني خيط من الإجابة على تساؤلي في كتاب (بغية الطلب في تاريخ حلب) لابن العديم، حين تحدث عن قدوم المتنبي إلى حلب قائلاً: «كان دخوله إلى حلب سنة /٣٣٧هـ/ وخروجه منها إلى مصر الدفعة الثانية في سنة /٣٤٦هـ/ وكان نزوله بحلب في محلتنا المعروفة بآدر بني كسرى.. قال لي والدي: وكانت داره داراً هي الآن خانقاه سعد الدين كمشتكين ملاصقة لداري..» من خلال قراءتي لهذا النص الهام أحسست أن هذا الكلام يجيب على تساؤلات طالما طرحتها حول تفاصيل حياة أبي الطيب المتنبي في مدينة حلب: منزله، أسرته، أسلوب عيشه، وكان كل الذين شرحوا ديوان المتنبي، وأرخوا له، أو نقدوه لم يتناولوا مكان إقامته في حلب، ولعل ابن العديم هو الوحيد الذي ذكر في كتابه (بغية الطلب...)، كما ذكر الأمر نفسه في كتابه (زبدة الحلب من تاريخ حلب) فقال: «وصار الأمر والتدبير إلى سعد الدين كمشتكين الخادم، وهو الذي بنى الخانقاه المنسوبة إليه بحلب في جوارنا وهي كانت دار أبي الطيب المتنبي بحلب». ويحدد ابن شداد في كتابه (الأعلاق الخطيرة) مكان خانقاه سعد الدين كمشتكين فيقول: «خانقاه أنشأها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بيت الأتابك عماد الدين قرب دور بني العديم..» أمام هذه النصوص الموجزة كان لابد من معرفة دور بني كسرى، ودور آل العديم، وموقع خانقاه سعد الدين كمشتكين. فعدت إلى كتاب سبط بن العجمي الحلبي (كنوز الذهب في تاريخ حلب) الذي جاء فيه: «خانقاه أنشأها سعد الدين كمشتكين الخادم مولى بيت الأتابك عماد الدين قرب دور بني العديم.. وكان ملاصقاً للمدرسة الصلاحية من جهة الشرق.. والآن يعرف هذا المكان بالقلقاسية» ويقول راغب الطباخ في كتابه (إعلام النبلاء..) عن المدرسة ما يلي: «موقع هذه المدرسة شمالي الخان المعروف بخان خاير بك، وأمام الخان المعروف بخان الكتان، وهي مدرسة صغيرة، وقد كانت أشرفت على الخراب فعمّرها السيد بهاء الدين بن السيد تقي الدين القدسي في حدود /١٢٦٠هـ/.. ومن ذلك الحين صار الناس يسمونها بالبهائية...» وهذا ما يؤكده كامل الغزي في كتابه (نهر الذهب في تاريخ حلب) ومحمد أسعد طلس في كتابه (الآثار الإسلامية والتاريخية في حلب).

فالمدرسة البهائية القائمة أمام خان الكتان، وخلف خان خاير بك، تقوم على أنقاض المدرسة الصلاحية التي كانت قائمة في منطقة آل العديم في حي سويقة علي المشهور والذي يضم خان الوزير. ويتحدث ابن العديم بوضوح على أن خانقاه سعد الدين كمشتكين قامت على أنقاض دار أبي الطيب المتنبي الذي سكن حلب بين (٩٤٨-٩٥٧م) ومن المؤكد أن دار المتنبي كانت ساحتها أكبر من المدرسة البهائية الحالية، ثم دخلت أجزاء من هذه الدار في البناء المجاور وهو خان خاير بك. لاشك أن تدمير حلب أكثر من مرة غيّر شكل البناء والعمارة، ولكن الذي يهمنا هو المكان الذي حددناه وكانت فيه دار المتنبي.

■ بيت المتنبي إذاً تحول إلى خانقاه كمشتكين ثم إلى دار ابن العديم فالمدرسة الصلاحية ثم المدرسة البهائية الموجودة حالياً..

بناءً عليه، ما الذي تقترحونه بخصوص بيت المتنبي القديم؟

□□ أرى أن يتم تنفيذ اقتراحات جمعية الشعر في اتحاد الكتاب العرب التي زار بعض أعضائها بيت المتنبي واقترحوا تحويله إلى متحف يحمل إسمه، ويزوّد بمكتبة تضم كل ما يتعلق به، ووضع تمثال له فيه، وإقامة ندوات ومهرجانات عالمية حوله، وتنظيم مسابقة تحمل اسمه.

■ تحلم إذاً أن نحذوا حذو الدول التي تهتم بمبدعيها، كما فعل الإنكليز بآثار شكسبير! فلنضم هذا الحلم إلى مجمل



احلامنا راجين أن يتحقق بعضها والا تحذو هذه المقترحات حذو مصير بيت الكواكبي الذي لم يهتم به أحد حتى الآن، وعسى أن نتمكن من الحفاظ على قلعة حلب رغم حلم بعض تجّارها بهدمها وتحويلها إلى مجمع تجاري ضخم!!... وعود على بدء: كيف كانت علاقة المتنبي بحلب؟.

□□ السنوات التسع التي قضاها المتنبي في حلب /٣٣٧-٣٤٦هـ/ كانت ذروة حياته وإنتاجه الشعري وعلاقاته المتوازنة. وهذه السنوات التسع كانت، بالتالي ذروة ما عرفه الشعر العربي من تألّق وعظمة خلال تاريخه المديد. فالمتنبي قمّة الشعر العربي في عصوره المتلاحقة، باتفاق النقّاد ومؤرّخي الأدب، وفترة إقامته في حلب قمّة عطائه وإبداعه.

■ حلب.. الشهباء، ورد اسمها في الكتابات الحثية في الألف الثانية قبل الميلاد كعاصمة لملكة (يمحاض).. تناوشها كثيرون واندثروا، خرّبوها وعُمّرت.. جعلها الحمدانيون عاصمة لدولتهم (٩٤٢م) فازدهرت واشتهر من أمرائها سيف الدولة.. احتُلّت غير مرة حتى استقلّت في العصر الحديث.

وأبو الطيب المتنبي (٩١٥-٩٦٥م) شاعر عربي حكيم لايجهله أحد، ولد في الكوفة وعاش في حلب تسع سنوات، وكان طوال حياته شاغل الناس، كانت علاقته وطيدة بحلب وبسيف الدولة الحمداني الذي ولد ومات مع المتنبي، وحارب البيزنطيين، وازدهرت الآداب والعلوم في عهده الذي ضم أبا فراس الحمداني وأبا النصر الفارابي وأبا الفرج الأصفهاني.

■ حلب والمتنبي وسيف الدولة.. هذه الثلاثية ما الذي تثيره لديك؟

□□ حلب وسيف الدولة والمتنبي.. جدلية ثلاثية الأطراف، وكل طرف فيها مؤثّر ومتأثر. حلب الحمدانية التي تصدّت لمقارعة الإمبراطورية البيزنطية وإيقاف خطرها الزاحف من الشمال، وقد تراخت قوة الخلافة العباسية وغلب عليها المتنفذون.. وسيف الدولة الذي لم يجتمع قط بباب أحد من الملوك ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر ونجوم الدّهر، حتى جمع في مديحه أكثر من عشرة آلاف بيت.

ونحن حينما نتحدث عن سيف الدولة وعصره الحلبي الحمداني، فإنما يقفز المتنبي إلى أذهاننا، وتتدفق أشعاره على ألسنتنا، رغم مئات الشعراء، وعشرات ألوف الأبيات التي قالها سواه في سيف الدولة.

تسع سنوات في حلب، انقطع فيها المتنبي إلى سيف الدولة ولم يقل في غيره بيتاً واحداً، انقطع إليه مادحاً واصفاً، راثياً ذويه معجباً بشخصه وبجهاده، مرافقاً له في حركته اليومية صادقاً في علاقته به كل الصدق.

كان الرجلان قد التقيا لقاء عابراً في بلدة «رأس العين» على الطريق بين حلب والموصل، وكان ذلك عام ٣٢١هـ وكل منهما في الثامنة عشرة من عمره، ويومها قال المتنبي يمدح سيف الدولة:

ذكر الصّبا ومراتعُ الآرام
جلبتْ حِمامي قبل وقت حمامي
أنت الغريبة في زمان أهله
ولدت مكارمهم بغير تمام

ويمضي الرجلان كلّ في سبيله.. ويدخل سيف الدولة حلب أميراً عام ٣٣٣هـ ويلتقيه المتنبي في أنطاكية التي كانت جزءاً من دولته الحمدانية، في شهر جمادى الثانية ٣٣٧ ويمدحه بقوله:

وفاؤكما كالربع أشجاه طاسمه
بأن تسعدا، والدمع أشفاه ساجمه
وما أنا إلا عاشق، كل عاشق
أعق خليليه الصفيين لائمه
لقد سلّ سيف الدولة المجد مُعلّماً
فلا المجد مخفيه ولا الضرب ثالمه

ويصحب الشاعر أميره العربي النبيل إلى حلب عاصمة ملكه. لتنفتح له أبواب الدنيا بعد عسر وسجن وتشرّد في بوادي العراق والشام، وسفر غير موفق إلى مصر.

لقد عرفت دار المتنبي في حلب أجمل أيام حياته، وفيها نظم غرر قصائده في سيف الدولة، وشعره في حلب وسيف الدولة يبلغ ثلث إنتاجه الشعري، ولكنه في القمّة من هذا الإنتاج. لقد كتب في سيف الدولة /٨٣/ قطعة وقصيدة تقترب من ألف وسبعمائة بيت. كما أشار إليه في كثير من قصائده التي قالها بعد سفره من حلب إلى مصر ثم إلى العراق وفارس.

وقد روى أبو سعد مدير أعماله كيف كان يدرس حتى يمضي من الليل أكثره قبل أن ياوي إلى فراشه. ويتّفق دارسوه على جديته وطموحه وبُعده عن اللهو ونفوره من الخمرة، كما يتّفقون على استقامة سلوكه. ومن ذلك ما يرويه ابن العديم عن علي بن حمزة البصري صديق المتنبي أنه قال:

(بلوت من المتنبي ثلاث خصال محمودة وتلك أنه ما كذب ولا زنى ولا لاط).

ويشكّك ابن العديم بالجزء الثاني من تلك الرواية التي يقول فيها البصري: (وبلوت منه ثلاث خلال ذميمة وتلك أنه ما صام ولا صلى ولا قرأ القرآن عفا الله عنا وعنه آمين).

لقد كان آخر عهد المتنبي بسيف الدولة وبلاطه قصيدته الميمية التي مطلعها:

عقبى اليمين على عقبى الوغى ندم
ماذا يفيدك في إقدامك القَسَم
وظنّهم أنّك المصباح في حلب
إذا قصدت سواها، عادها الظلم
القائم الملك الهادي الذي شهد
قيامه وهداه العرب والعجم

ولكن حلب وسيف الدولة بقيا في خاطر المتنبي وفي قصائده خلال السنوات الثماني التي قضاها بعد خروجه من حلب، ومصرعه عام ٣٥٤هـ

ففي رثائه خولة يقول سنة ٣٥٢هـ:

أرى العراق طويل الليل مذ نعيت
فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

ثم يشكر سيف الدولة على هداياه التي أرسلها إليه في العراق:

كلّما رحبّت بنا الروض قلنا
حلب قصدنا وأنت السبيلُ
والمسمّون بالأمير كثيرٌ
والأميرُ الذي بها المأمولُ

ويكتب إلى سيف الدولة بعد أن أرسل إليه يستدعيه إلى حلب ٣٥٣هـ:

فهمت الكتاب أبرّ الكتب
فسمعاً لأمر أمير العرب
وما قست كل ملوك البلاد
فدع ذكر بعض بمن في حلب
وأنت مع الله في جانب
قليل الرقاد كثير التعب

■ لاشك أن لاكتشاف بيت المتنبي في حلب فوائد عظيمة لاتخفى على ذوي الرشاد، ولابد من السعي لجني ثمار هذا الاكتشاف بكل الوسائل الممكنة.

أستاذ قجّة هل لك أن تختم الحوار بكلمة أخيرة تخاطب فيها حلب التي نحب؟

□□ شهباء إنّا بنوك الغرّ، مهجتنا

عشقٌ، ومقلتنا ترنو إلى حلبِ
إن فاخر القوم في أرض وفي نسبِ
إذاً لفاخرتُ أنّي اليعربي الحلبي

في ملتقى سعد الله ونوس - "حصين البحر" تلك البسيطة الصعبة..

محمود السرساوي

لاتصل الأقدام إلى «حصين البحر» إلا صعوداً كانما قدرها أن تساكن العلو حتى في مرارته، إذ لاتعرف هناك تماماً من أين تشتق هذه البلدة كل هذا الحزن..؟! ففي غمرة نثارات الإسمنت التي غطت أوراق الزيتون بنمشها الأبيض، ولهاث رائحة البحر على النوافذ الخشبية.. ثمة ما يلتبس في حوار الروح مع مفرداتها ثمة ما يجرح حواف الاخضرار البادية حولك بصمت غائر وبليغ، تقول فيه حصين البحر كل شيء، ولا تقول..

تتوغل في فواصل الطبيعة والقول والكائنات، وتصل إلى الارتباك ذاته متذكراً صرخة الممثل تلك على الخشبة «.. كل شيء يضيق» ولاينكسر هذا الارتباك إلا وسط صخب عارم، صخب دواخل وعيون واسعة وأسئلة حادة، إذ يغدو المكان انتماءً واعترافاً بالمعنى والقول والجمال، وجمال «حصين البحر» سهل وممتنع بآنٍ، لايشبهه في وضوحه وغموضه سوى البحر الذي يُخاصره.. ففي السادسة مساءً يوم الجمعة في الرابع من حزيران كان الملتقى الثاني مع «سعد الله» ذلك الفتى الذي أغراها ذات يوم بحبره، فاغوته بحريتها، ففاض المداد بحثاً فيها وعنها، عمن ظلوا قابضين على جمرة الحلم رغم كل الجراحات والعذابات الحارقة، قبل أن يعود البهي للمرة الأخيرة راجياً منها أن «تُعدّ له الأرض كي يستريح..» لينام على ركبتيها حالماً ووحيداً إلا من الفكرة والحب والإرادة الواثقة، تطوقه القلوب برعشة تراتيلها، وتغطيه الزغاريد بنحيبها المتقطع، وتسعف صمته الحناجر العطشى بثمالة اندفاعها.. وبين «جوقة التماثيل»، و«الأيام المخمورة» كان الطريق يتسع اكثر فاكثر «للمحكومين بالأمل»، والمشمرين عن قلوبهم واقلامهم في مواجهة ضارية مع سرطانات الداخل والخارج، فما «حدث ويحدث لايمكن أن يكون نهاية التاريخ..» كما قال سعد ذات مرة..



والأمل توأم المعنى وصنوه وبذرته الأولى، وفي نصوص المبدعين قبل «سعد» وبعده كان الأمل ملازماً لقول الحقيقة، يجرّنا من دموعنا أحياناً إلى ساحة الشمس رغماً عن إحباطاتنا وخيباتنا المتواصلة، ولايستقيم الأمل دون معرفة بواعث العتمة ومسبباتها وأسئلتها، ونبش مغيبها ومسكوتها، وفي كتابات سعد كما كنفاني من قبله شغف بذلك النبش، فغسان كاشفنا بابطاله وهم في ذروة الألم داخل «الخزان» يبحثون عن الشمس، وسعد الله أدخلهم في «ملحمة سرابه» ليبصروا الأمل، وربما علق في تفسخ ذواتهم وانشطار علاقاتهم السؤال ذاته بوجه آخر: «لماذا لم تقرعوا جدران الخزان منذ البداية..». وفي الحالتين معاً كان القلم يحذر، ويدين، ويحتج، ويتجاوز بفنية حاذقة أثقال الموضوعة السياسية المباشرة متخففاً من وطاة الأطروحات المسبقة، والتفاؤلات الساذجة التي طغت على قسم ليس بالهين من كتاباتنا ردحاً من الزمن..

وفي الحالتين أيضاً صورة لمثقف يوحد الكتابة بالممارسة برؤية عميقة لحركة الواقع ومتغيراته، تنتمي بكل جوارحها لإنسانية الإنسان في مواجهة الاستلاب والظلم والتدمير..

بكل ذلك تفرّد سعد كما غسان «بنقديته العالية»، وعاد إلى «حصين البحر»، كما أراد دونما خدش في الروح، أو طعنة في ذاكرة محبيه،

وغادر غسان أيضاً هذا العالم بامثولة أخرى استطاع أن يؤكد فيها بلحمه المتناثر في الانفجار دلالة القضية وأصالتها..

وقد أكد «سعد الله» في كلمته لمنتدى «غسان كنفاني الثقافي» بمناسبة تكريمه قبل رحيله باشهر معدودات ذلك بالقول: «.. بين الكتّاب العرب الذين عاشوا القضية الفلسطينية وكتبوها بالكلمة والدم، يقف غسان كنفاني نموذجاً متفرداً وقامة شامخة، سيظل علينا طويلاً أن نتعمقها، ونفتش في كنوزها الخفية عن دروس وأمثولات يمكن أن نتزود منها في رحلتنا الوعرة عبر هذا الليل الطويل، وما يميز غسان ليس فقط تلك المزاوجة العضوية واليومية بين الكتابة والممارسة، إنما يميزه إلى جانب ذلك وربما اكثر منه ذلك الوعي العميق الذي جعله يفهم أبعاد القضية والتباساتها التاريخية المعقدة، واعتقد ان هذا الوعي الذي نجده في اعماله الأدبية المتلاحقة والخصبة يبدو متقدماً جداً على وعي معظم الكتاب العرب بما في ذلك الأجيال التي يفترض انها قد جاءت بعده وتعلمت منه.. كان الصراع بالنسبة له تاريخياً يتم على ارض من السياسة والوقائع والمتغيرات، ولهذا فقد ترك لنا هذا الفيض من الشخصيات الحية التي يمور في أعطافها مشاعر مركّبة، متناقضة، وقلق لايهدأ إلا بالموت، أو تطلعات الانتماء...»..

ولا أدري حقيقة ما الذي جعلني أستحضر غسان في ذكرى سعد الله، فربما كان لإيقاع الحب وقعه في هذا الإختيار، وربما هو الانشداد لصورة المثقف النقدي الذي بتنا نفتقده هذه الأيام..

كانت الساعة قد تجاوزت السادسة بدقائق والحضور يدخل من بوابة المدرسة مثنى وفرادى وجماعات، وتلك الزيتونة الصلبة «فايزة شاويش» زوجة سعد لاتكل ولا تمل من العمل جنباً إلى جنب مع ابنتها ديما، فبعد أن عاودت ضريح سعد الله في الصباح وسقت الزهور وشذبت الأعشاب، سارعت إلى إعداد طعام الغداء في الظهيرة، وها هي الآن ذاهبة آيبة بين الصفوف ترحب بمن يجيء وتسأل عمن تأخر، وتطمئن على اكتمال التجهيزات ولم يخل المشهد من خصوصية أيضاً عندما لبى الدكتور جورج حبش أو الحكيم كما يحب «سعد الله» أن يدعوه، دعوة زوجة سعد مغالباً التعب والمشاغل، كانت الدرجات المفضية إلى باحة المدرسة متباعدة بقدر لايسمح «للحكيم» نزولها لكنه آلى على نفسه وتخطاها بمكابدة رافضاً المساعدة رغم كثرة الأيدي التي امتدت للمساعدة، وكانه يريد التوكيد بأن روح الشباب لم تزل تضطرم في جوانحه.. وحين لمحت إلى أهمية حضوره أكد بأن هذا واجبه وأن الشعب الذي ينجو بثقافته ويحميها من المستحيل تدميره، وكذلك أضاف حضور شخصيات ثقافية لامعة من لبنان الشقيق نكهة خاصة على اللقاء، كطلال سلمان ونضال الأشقر وزاهي وهبة على سبيل المثال لا الحصر، وتعددت الفقرات وتنوعت في البرنامج المقرر وأبرزت مواهب متقدمة في المسرح والغناء، واشير هنا بشكل خاص لفرقة فواز الساجر المسرحية من حمص، وصوت شمس اسماعيل الواعد، وأداء الفنانين نضال سيجري واندريه سكاف، ومن الكلمات كان لكلمة الكاتب طلال سلمان وقعها الخاص لكثافة لغتها وعمق دلالتها.. وانتهى اللقاء كما بدأ بصخب دواخل، وعيون واسعة وأسئلة حادة.. ■■

الذاهبون إلى المستقبل... بظهورهم

محمد خالد

إن لم تكن جزءاً من المحدلة،
فأنت جزء من الطريق
(غريغوري راولنز)

لنقرأ هذا النداء القديم:

... بغياب المسمار، ضاعت الحدوة

... بغياب الحدوة، ضاع الحصان

... بغياب الحصان، ضاع الفارس

... بغياب الفارس، خسرت المعركة

... بخسارة المعركة، ضاعت المملكة...

نداء قديم عمره ألف عام وعبرته لاتزال صالحة...

اثنان سيدخلان القرن الحادي والعشرين: الأول سيدخله مشياً من البوابة الرئيسية... والثاني سيدخله سحلاً من البوابة الخلفية...

الأول سيد العصر... والثاني خادمه...

العالم الثالث - ونحن منه في بؤبؤ العين - سيدخل مسحولاً بحبال تخلفه... فقد أضاع الحلقة الخماسية المتسلسلة (المسمار والحدوة والحصان والفارس والمعركة). ومن يخسر حلقات التقدم فإنه يخسر قوته...

في القرون الأولى بدأت القوة بعصا الراعي ثم انتقلت إلى السيف والرمح... ولاحقاً سوف تتفوق بندقية الرجل الأبيض على رماح الهندي الأحمر وسهامه وسوف تتم إبادة ٤٠ مليون هندي أحمر في أمريكا الشمالية بهذا السلاح الجديد... وستتطور القوة لتصبح مرادفة للعدد الأكثر... وباختراع المدفع تنتقل القوة ليد الأقلية النوعية التي تملكه... وسوف يسيطر ٢٠ مليون بريطاني على مئات الملايين في الشرق الأوسط والهند... وفي القرن العشرين تتصارع الإيديولوجيا مع المال كرمزين للقوة، فينتصر المال حتى نهاية القرن... ويبرز مفهوم جديد: القوة هي المعرفة... إنه عالم الكمبيوتر والإنترنت وثورة الاتصالات...

ما العمل؟

كيف يمكن دخول القرن الحادي والعشرين مشياً على الأقدام وليس سحلاً على الظهر؟

السرد الحقيقي هو ذلك البرنامج الذي يجيب على سؤالين أساسيين:

الأول لماذا هزمنا؟... والثاني: ما هو مشروع النهضة العربية الحديثة؟ وغني عن القول أن الإجابتين يجب أن تكونا من نتاج عقل جماعي عربي يلتزم العلم والموضوعية والفعل البارد في دراسة الهزيمة ومن ثم استنباط برنامج النهضة الوطنية الشاملة... وذلك لن يتحقق إلا بجهود عمل جماعي... صحيح أن هناك مفكرين استراتيجيين عرباً متفرقين في المشرق والمغرب يقدمون أبحاثاً واجتهادات متفرقة... ولكنها تظل محاولات فردية واجتهادات منعزلة لايربطها برنامج استراتيجي جمعي للحصول على الإجابات المطلوبة وتوزيعها على المفكرين المتعددين لإثراء التحليل الجذري للهزيمة من جهة ومن ثم بناء البرنامج الشامل لنهضة الأمة من جهة ثانية...

إن مراكز الدراسات الإستراتيجية في الوطن العربي قليلة جداً... وهي لاتحظى بالاهتمام المطلوب - رسمياً وشعبياً - وتغذيتها بالعقول الفعالة والمنتجة وربطها بمركز موحد وجمع النتاج الفكري ضمن خطة محددة.

فلا يزال هذان السؤالان يؤرقان الإنسان العربي الذي يحس بالعجز والضياع وفقدان البوصلة الوطنية الشاملة... فهو يسمع ويقرأ كثيراً عن ضرورة تحليل أسباب الهزيمة وعن مشروع النهضة العربية ولكنه لايلمس أية إجابات شافية ودقيقة حول هذا المشروع الجوهري...



لم يكن نجاح المشروع الصهيوني هو هزيمة الفلسطينيين في فلسطين... ولكنه كان هزيمة جميع العرب في فلسطين... فالهزيمة عربية شاملة تطال الجميع... والحل لن يكون إلا حلاً عربياً جماعياً يتمحور حول مشروع النهضة الذي يتكلم عنه الجميع ولايلمسه أحد...

في المنطقة العربية لايمكن أن ينجح مشروعان متناقضان على نفس الأرض: المشروع الصهيوني ومشروع النهضة العربية في المدى الجغرافي فإن المشروع الصهيوني يبدو منتصراً... أما في المدى التاريخي فلابد أن ينتصر المشروع العربي على أرض الوطن فقد هزمت جميع المشاريع العنصرية في العالم ولم يبق سوى المشروع الصهيوني الذي يسير ضد التاريخ وحيداً...

إن الخزان التاريخي للنهضة العربية (المرأة والأطفال) لم يقل كلمته بعد... فقطارهم له محطة واحدة هي النصر... رغم أنف المستسلمين «ورُبَّ أناس يقادون إلى الجنة بالسلاسل» ■■

هل ينتهي العالم في الألفية الثالثة؟!

منذ أيام كنت مع مجموعة من الأصدقاء، وبين الجد والهزل، راح كل واحد منا يطلق تعليقات ما على نبوءات عالم الفلك الفرنسي نو سترادا موس، وموجة التأويلات والتفسيرات التي تنتشر هذه الأيام كالنار في الهشيم لنبوءاته تلك. وخاصة في الغرب، حول نهاية العالم على أبواب الألفية الثالثة، والكوارث القادمة مع القرن الجديد.

بعض الحاضرين أعلن دون حرج بأنه لم يسمع بنو سترادا موس هذا، ولم يقرأ عنه، أو عن تفسيرات نبوءاته شيئاً، لكنه سخر بشدة من الجهل الذي يسكن قلوب الناس. ويجعلهم يصدّقون ببساطة مثل هذه الأقاويل الغيبية التي لاتستند إلى أي أساس علمي، وأرجع الأمر إلى خوف البشر الغريزي من المستقبل الغامض حيث لم يستطع الإنسان حتى الآن، رغم ـ كل التقدم العلمي ـ اكتشاف ألغاز الكون والسيطرة عليه، وهذا ما يسمح للمنجمين برأيه في التسلل للترويج لآرائهم.

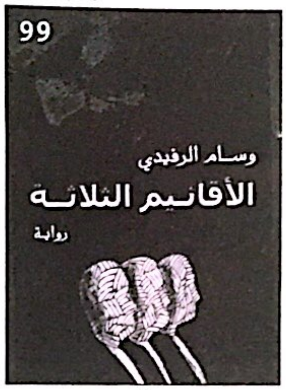
وإذا كان في حديث صديقنا (العلمي) شيء من الصحة فإن هذه الظاهرة باعتقادي هي أكثر تعقيداً مما ذهب إليه، وبالتالي تفسير الأمر يحتاج بالفعل إلى تأمل هذه الظاهرة والتفكير بها، إذ ما معنى أن تثير مثل هذه «النبوءات» كل هذا القلق في جميع أنحاء العالم، وكيف يمكن لنا أن نفهم أن بلداً مثل اليابان، وهو من أكثر بلدان العالم تطوراً على الصعيد العلمي فيه من ينتظر الآن نهاية العالم، ومرجعيتهم في ذلك.. نوسترادا موس؟

ربما تحتاج الإجابة على مثل هذه التساؤلات إلى تحقيقات موسّعة لنسمع آراء مرجعيات مختلفة دينية وعلمية وثقافية متعدّدة.

هل يفنى الكون أم لايفنى؟ ومن بإمكانه أن يحدّد لنا ما يخبئه المستقبل؟ هل هناك من يعلم بالغيب؟! أم أننا ربما نحتاج إلى بعض الأوهام كي نخفّف من وطأة هذا العالم المادي الذي لايرحم؟!

علي الكردي

الأقانيم الثلاثة لـ «وسام الرفيدي»



صدر حديثاً عن دار كنعان للدراسات والنشر رواية للكاتب وسام الرفيدي بعنوان «الأقانيم الثلاثة»، قدّم للرواية الدكتور جورج حبش ومما قاله: «الأقانيم الثلاثة» تجربة منعشة، (...) أكتب هذا ليس من باب الإطراء، أو النقد الأدبي، بل من الباب الذي وجدت نفسي مدفوعاً فيه لتسجيل انطباعاتي، وعاطفتي فيما قرأت وسجلته ذاكرتي من تداعيات وانفعالات بالفرح أو الحزن أحياناً، وبالألم أو الأمل أحياناً أخرى (...) وهنا لاغرو، إن قلنا إن مراحل نضالنا الوطني وتعقيداته تطلبت أحياناً بطلاً نخبوياً بطلاً باهراً وهذا ما كانه وديع وما هو عليه كنعان (بطل الرواية) بهذا القدر أو ذاك.

وكنعان الثائر والذي هو أولاً وأخيراً الفلسطيني في زمن الاشتباك الساخن، في زمن التحدي.

فمعركة الحرية لشعبنا بدأت ولكنها لم تنتهِ بعد.. وهي كانت ومازالت بحاجة لأمثال كنعان الثائر والإنسان..

«الغمام» لماجد رشيد العويّد



صدر عن دار أرام للثقافة والكتب مجموعة قصصية للكاتب ماجد رشيد العويّد تحت عنوان «الغمام» تضم ست قصص: الليلة الثانية بعد الألف، طيبة، مضغة، الغمام، مزاد موت مصطفى سعيد.

من بداية المجموعة حتى نهايتها يقول لنا العويّد إننا منخرطون في معارك لاحدود لها ولانهاية لها، معارك مع الذات، الآخر، اللغة، المقدس، الحرية، الماضي، المستقبل ويجعل من كلامه أنشوطات لأسئلة عميقة من نمط: هل كل ما في الكون بريء وكامل إلا الإنسان؟ ولماذا يحب الناس بؤسهم؟ ما الغاية من سلوك البشر؟ وماذا يريدون من الحياة؟ وأخيراً: كيف يجب أن تكون علاقتنا مع الواقع؟ هل نقطعها لأنه يجعل حياتنا مستحيلة؟ أم أنه لابد من الحلم؟

تمارين العزلة لـ محمد عبيدو

تمارين العزلة مجموعة شعرية جديدة للشاعر محمد عبيدو، صدرت حديثاً عن دار اتحاد الكتاب العرب بدمشق، احتوت على مجموعة قصائد غلبت عليها قصيدة النثر، وحملت هموماً وأوجاعاً منطلقها فردي، لكن صداها يلامس حياة الناس بشكلٍ ترميزي مكثف.

تمتاز أجواء المجموعة بهذا الحس العميق بالوحدة، الذي يلتقطه الشاعر من تفاصيل الحياة اليومية، حيث بات الإنسان في عالمنا المعاصر مهمّشاً، معزولاً، يفتقد الدفء، ويعاني الغربة في عالم المدينة التي تضجُّ بالمتناقضات من كل نوع، حيث الحب كالسراب، يلهث الإنسان خلفه دون أن يصل إليه. من أجواء المجموعة:

بي شيء
يشبه الشحوب
هذا المساء..
بي شيء
من بكاء الياسمين
ورجفة الوحدة..
فوضى الغرفة
تقول
إنكِ
لن تأتي
هذا المساء..
لن تهطلي عليّ
بفتنتك الغامضة..

تقع المجموعة في 99 صفحة من القطع المتوسط.

الفن للجميع /99/

ان تكون اللوحة التشكيلية في متناول المتلقي العادي، وليست حكراً على النخبة المثقفة التي ترتاد عادة المعارض و«الغاليريات» مسألة كانت حتى وقت قريب في سورية هي فكرة أقرب إلى الحلم الذي طالما راود الفنانين التشكيليين الذين يعانون من قطيعة بين نتاجهم الإبداعي وبين الجمهور العريض الذي لم تدخل اللوحة في نسيج ثقافته الفنية أو البصرية..

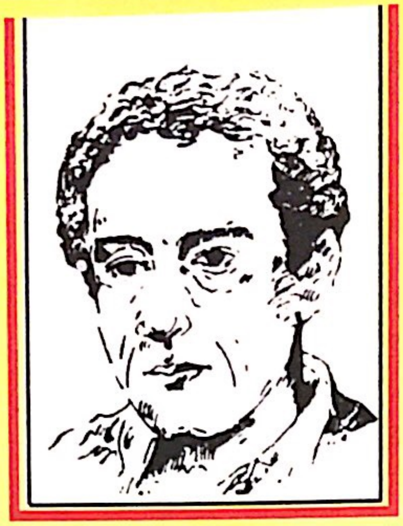
هذه الفكرة باتت الآن، بعد جهود دؤوبة قام بها الفنان سعد الله مقصود بالتعاون مع غاليري أتاسي بدمشق واقعاً قائماً على الأرض بعد نجاحه في إقناع مجموعة من الفعاليات الاقتصادية بتبني تمويل مشروع «الفن للجميع 99»، حيث ومن خلال هذا المشروع تُعرض حالياً في شوارع دمشق، وفي اللوحات الإعلانية مجموعة من الأعمال التشكيلية لكبار الفنانين التشكيليين السوريين وعلى رأسهم الفنان الراحل لؤي كيالي وذلك بشكلٍ لائق وجميل، وهذا سيمكّن ابن الشارع العادي من الإطلاع على لوحات هؤلاء الفنانين والتعرّف عليهم من خلال أعمالهم وهذا سيسهم بشكل أو بآخر في إغناء الثقافة البصرية وتنمية الذوق الجمالي للمواطن العادي، هذا عدا عن الدور الحضاري الذي تلعبه هذه الفكرة في تجميل فضاء المدينة، بجعلها معرضاً دائماً ومفتوحاً أمام الجميع.

فيروز تغني ألحان السوري محمد محسن

جاء في العدد الأخير من مجلة فنون التي تصدرها الهيئة العامة للإذاعة والتلفزيون السوري، على لسان الزميل أحمد بوبس أن مطربة النجوم السيدة فيروز سوف تغني أربعة ألحان جديدة، وضعها الملحن السوري الكبير محمد محسن، وقد أصدرت المطربة الكبيرة مؤخراً شريطها الجديد الذي يتضمن الأغنيات الأربعة التي لحّنها محمد محسن إضافة إلى أغنيات أخرى لحّنها ابنها زياد الرحباني.

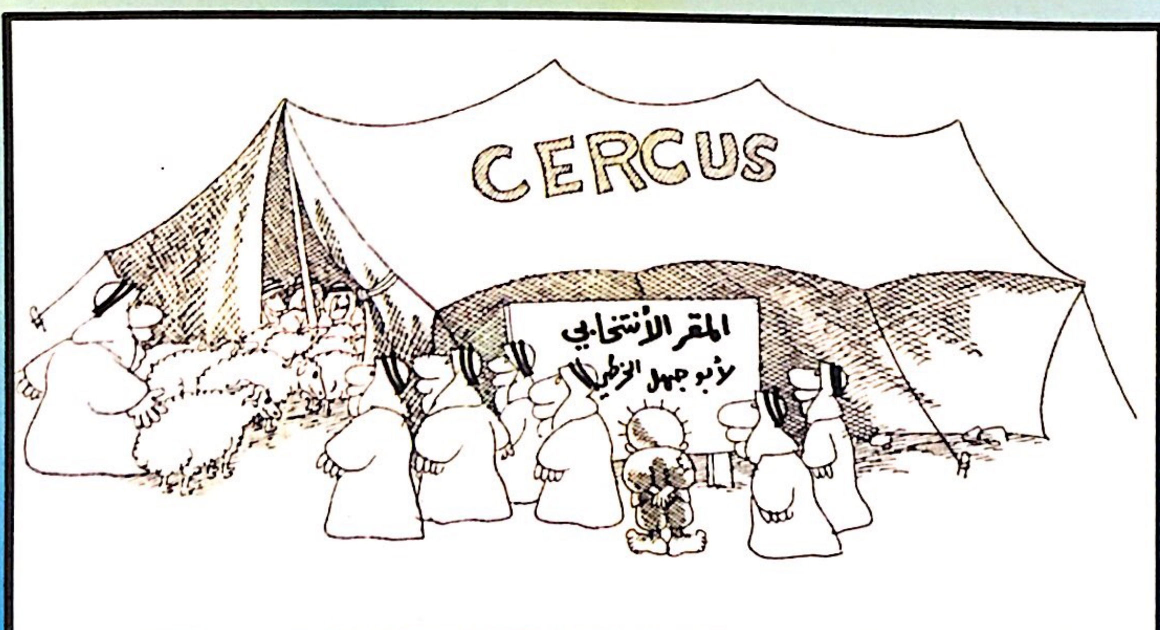
سبق للفنان محمد محسن، أن لحّن للسيدة فيروز في بداية السبعينيات أغنية (سيد الهوى قمري) التي لاقت نجاحاً كبيراً.

أما الأغنيات الأربع التي لحّنها محمد محسن لفيروز فهي من الشعر القديم أولها بعنوان (جاءت معذبتي) والثانية (ولي فؤاد) والثالثة (لوتعلمين) والرابعة (أحب من الأسماء).



ناجي العلي على سفر وواقع الحال مقيم





غياب غسان كنفاني

ليس إلا حضوراً من نوع جديد

في يوم حزين، الثامن من تموز ١٩٧٢ تمزق جسد غسان وابنة أخته لميس في أحد شوارع بيروت.

سبعة وعشرون عاماً مضت على وداع غسان، الكاتب المبدع والقائد السياسي ومؤسس مجلة الهدف قبل ثلاثين عاماً.

غياب غسان كنفاني ليس إلا حضوراً من نوع جديد، ولا نكتب عن غسان في ذكرى استشهاده لتكريم تقتضيه المناسبة، أو وفاءً لرجل ثائر، وكاتب متميز موهوب فقط، بل نكتب لأننا نتمسك بالقيم والأهداف والرسالة التي عاش من أجلها واستشهد في سبيلها.

ليس غسان موضوعاً للرثاء، لأنه حاضر فينا، ملهماً وثائراً، رمزاً تتجسد فيه أسمى قيم العطاء والتضحية. والنظر إليه كما ننظر إلى ماضٍ يشبه النظر إلى فلسطين وكأنها شيء ماضٍ.

إن فلسطين وغسان حاضران أبداً.

عاش غسان حياة قصيرة، ستة وثلاثين عاماً، ولكنها حياة استثنائية مميزة. أبدع فيها سياسياً وفكرياً وأدبياً وثقافياً، وحقق التطابق والانسجام بين حركتين: حركة مضمون الأدب التقدمي والممارسة الأصيلة فكان نموذجاً للتلاحم من طراز فريد.

وكانت حياة غسان درساً لا رمزاً فقط.

آمن بأن العمل لفلسطين لا حدود له، وأن الكتابة الهادفة لا قيمة ولا معنى لها إذا لم تتجسد بالممارسة والسلوك اليومي وأن الثورة لا تحتمل المواقف المهادنة أو المساومة، وأن الكلمة الثائرة والصادقة لا تعرف المواربة ولا التلفيق.

إن غسان جملة من الدروس السياسية والأخلاقية، ولم تذهب حياته سدى، فكان ملحمتين: ملحمة شعب وملحمة إبداع.

لا تعرف أين يبدأ غسان الثائر وأين يبدأ غسان المبدع، لأن الثورة الحقيقية والإبداع الحقيقي معادلة واحدة.

واليوم تزداد حاجتنا أكثر من أي وقت، إلى فهم واستيعاب الدرس الذي أعطاه لنا غسان في حياته وفي استشهاده. إن فلسطين وطن وقضية وحاضر ومستقبل لا تقبل إلا خياراً واحداً: عودتها إلى أهلها وعودة أهلها إليها وغير ذلك أوهام.

وليس هذا الخيار كما يحلو للبعض أن يقول، نابعاً من حالة وجدانية عاطفية، حالة، وإنما يشهد على صدقه الواقع المعاش.

نضال غسان كان من أجل وطن اقتلع منه بالقوة والإرهاب والعدوان وتزوير حقائق التاريخ. وثورة غسان على النفي والاقتلاع الذي أرادوه بديلاً للوطن.

وصلابة مقاومة غسان كانت من أجل أن لا تتحول حالة الشتات إلى حالة دائمة ومستديمة.

هذا هو جوهر الدرس الذي تركه لنا غسان ومن أجل هذا نكتب عنه.

وفي الوقت الذي نتحدث فيه عن غسان في ذكرى استشهاده، نحتفل ونضيء الشمعة الثلاثين من عمر مجلة الهدف، منبر الحقيقة والكلمة الحرة، الجريئة، الصادقة منبراً ديمقراطياً لكل الأحرار من أبناء الأمة العربية.

ثلاثون عاماً من العطاء المتواصل رغم كل الظروف والمصاعب والشدائد والمحن.

تستمر الهدف وستستمر في إعلاء راية الحقيقة باعتبارها منبع كل القيم الإنسانية النبيلة.

د. ماهر الطاهر